الغربة والغرباء

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

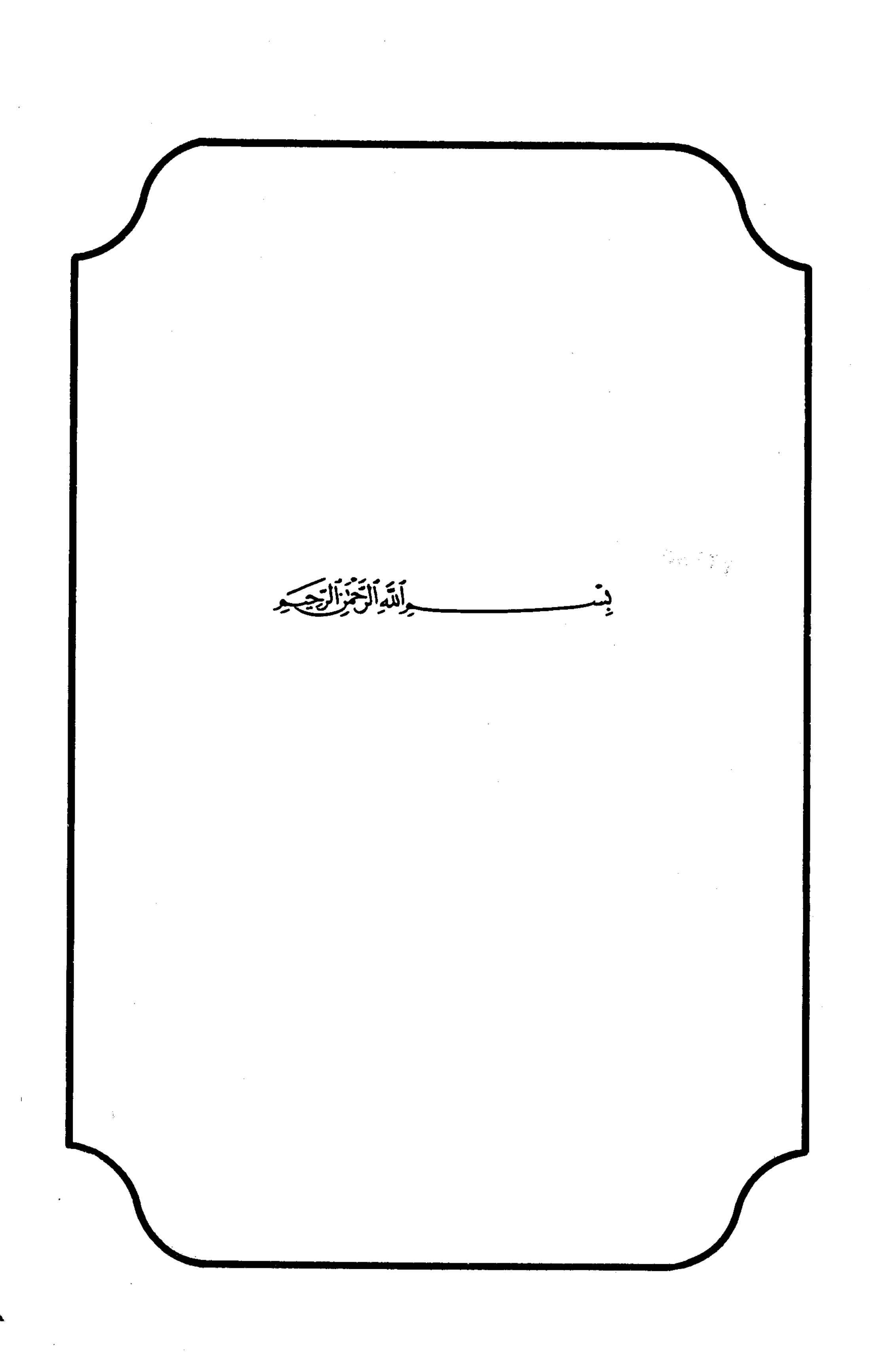
ابن قيم الجوزية

أبو إسحاق الشاطبي

حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه

وقدَّم له بدراسة مفصلة لحديث الغرباء وزياداته

سليم بن عيد الهلالي


بسم الله الرحمن الرحيم

الغربة والغرباء

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الناشر

دار الهجرة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

هاتف: ٨٩٨٣٠٠٤ - ٨٩٥٢٤٩٦

ص . ب: ٢٠٥٩٧ - الثقبة: ٣١٩٥٢

مقدمة

إنَّ الحمــدَ للهِ، نحمـدُه ونستعينُـه وتستغفـرُه، ونعـوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفُسِنـا، ومن سيِّئـاتِ أعمـالِنـا، مَن يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له.

وأشهـدُ أن لا إلـه إلا الله وحـدهُ لا شريـكَ له.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولهُ.

أما بعد:

فإنَّ غربةَ الإسلامِ وقعتْ في أعصارِنا المتأخرةِ كما حدثتْ في بدايةِ البعثـةِ النبـويـةِ، حتى أضْحى المسلمُ غريبـاً بين أهلِهِ وإخوانِهِ، منبوذاً بينَ عشيرتِهِ الأقربينَ؛ لأنه يدعوهم إلى الجنة وهم يشدُّونه إلى حمئةٍ وبيئةٍ من الشهواتِ والشبهاتِ.

ولكن الغـريبَ يعـودُ إلى تراثِنا، يتنسَّمُ أنفاسَ الغرباءِ الذينَ أضناهُم

السُّرى في بيداءِ العوائِدِ، ولفحهم سمومها، واجتاحتهم بيدُها السَّافيات، ودمدم في كيانهم اليَبابُ، واكتنفَ أرواحَهُم الصقيعُ، وصكَّ وجوهَهَم زيفُ التيارِ، حيث ينقلون خطاهُم على الرمالِ المحرقةِ، وتحت وهجِ الشمسِ الملتهبةِ، يكتالونَ الريحَ من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، قد هدَّهُم اللغوبُ، وقد تلظَّت الهاجرةُ؛ فراحوا ينشدون السلسبيلَ عساهم يستقبلون واحةً خصبةً، وارفةَ الظلالِ، رقراقةَ النبعِ، نديةَ النسيم، تتحدَّى الجوَّ القاسي من حولها بما تنفثُ مِن شذى يفعمُ أرجاءَ الوجودِ.

فسقطوا عليها، فهدؤوا إلى السكينةِ والقرارِ والطمأنينةِ عبر مفازاتِ الضواري، وأدغالِ الكواسرِ.

أفيكم من لا يحتضنُها بحباتِ القلوبِ، ويوسدُها أهدابَ العيونِ، ويسقيها من دمعِ المآقي.

كواحد ممَّن سُمِلت أعينُهم كي لا ترى الشمسَ في رابعةِ النَّهارِ، وضُرب على آذانِهم سنين عدداً كي لا تسمعُ حداءَ العنادِلِ المنبعِثِ مِن وراءِ الأبعادِ، المتهادي من ثنايا الأفُقِ المديد، الهاتفَ أن وراءَ الليلِ فجرٌ جديدٌ يملأ الشعابَ والأوديةَ ورؤوس الجِبالِ.

أقول: كواحدٍ من هٰؤلاءِ شمَمْتُ أنفاساً عطِرَةً لثلاثةِ فحولٍ من أئمَّتِنا الأعلامِ الذين سبقونا بالعلمِ والإيمانِ والدفاعِ عن الإسلامِ يشرحون فيها حديثَ الغربة والغرباء، وهم:

١ ـ **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ وشرحُه استللتُه من «مجموع الفتاوى» (١٨ / ٢٩١ ـ ٣٠٥).

٢ ـ **ابن قيم الجوزية** ـ رحمه الله ـ وشرحُه جرَّدته من كتابه «مدارج السالكين» (٣ / ١٩٤ ـ ٢٠٥).

٣ ـ **الشاطبي** ـ رحمه الله ـ وشرحه صدَّر به كتابَه المستطابَ الموسومَ بـ «الاعتصام» (١ / ١٨ ـ ٣٠).

ولكلٍّ منهم في شرحِهِ مشربٌ؛ فرأيتُ جمعَها في كتابٍ مستقلٍّ، راجياً المولى أن ينفعَ به المؤمنينَ الذينَ لا يقدِّمونَ بين يدي الله ورسولِهِ.

عملي في هٰذا الكتاب:

١ ـ قمتُ بتخريجِ حديثِ الغرباء تخريجاً علمياً قوائمهُ قواعد علم الحديث الشريف، مثبتاً تواتره، وقد استللته من كتابي الموسوم بـ «طوبى للغرباء».

٢ ـ ضبطتُ نصَّ الشروحِ الثلاثةِ.

٣ ـ خرجتُ الأحاديثَ المرفوعةَ الواردةَ في الشروحِ.

٤ ـ عزوتُ الآياتِ الواردةَ في الشروحِ إلى مواضعها في القرآن الكريم.

٥ ـ صنعتُ فهارسَ كشَّافةً للأحاديث المرفوعةِ، والأعلامِ المترجم لهم، والفوائد والمواضيع.

وأسألُ الله أن يتقبَّلَ جهدَ المُقِلِّ نصرةً لدينه، ويكتبَ له القبول في

الأرضِ ، ويدَّخِرَ لنا ثوابَهُ إلى يوم لقائه، ويجعَلَه للغرباءِ مناراً يهدي إلى صوى الإسلام.

وعلى اللهِ قصدُ السبيلِ .

وكتبه

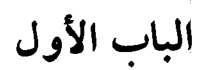
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

يوم الجمعة لسبع ليال بقين من رمضان المبارك

سنة ألف وأربع مئة وتسع من هجرة محمد ﷺ

في عمان البلقاء عاصمة الأردن





الباب الأول

دراسة مفصلة لحديث الغرباء



الفصل الأول:

طرق حديث الغرباء

* نص الحديث:

قال ﷺ:

«إنَّ الإِسلامَ بَدَأَ غَرِيباً، وسَيعودُ غَريباً كما بَدَأَ، فطوبى للغُرَباءِ».

* توثيق الحديث:

متواتر.

ورد موصولاً من حديث جماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم: عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبدالله، وسهل بن سعد الساعدي، وأنس بن مالك، وعبدالرحمن بن سَنَّة، وسعد ابن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وعوف المزني، وأبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع.

ومرسلاً عن يحيى بن سعيد، ومجاهد، وعبيد بن شريح.

١ ـ حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه.

له عنه طريقان:

الأولى: من طريق حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«بدأ الإسلام غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغُرباء».

قال: قيل: ومن الغرباءُ؟

قال: «النُّزَّاع من القبائل».

أخرجه الترمذي (٥ / ١٨)؛ دون التفسير، وصححه، و«العلل الكبير» (٢ / ٨٥٤)، وابن ماجه (٢ / ١٣٢٠)، والدارمي (٢ / ٣١١ - ٣١٢)، وأحمد (١ / ٣٩٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١ / ١١٨) وصححه، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣ / ٢٣٦)، وابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٨ / ٣٧)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٣ ـ ٢٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٨٧)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٨)، والآجري في «الغرباء» (ص ١٧ ـ ٢٠).

وقال البخاري؛ كما في «العلل الكبير» (٢ / ٨٥٤) للترمذي:

«وهو حديث حسن».

قلت: إسناده صحيح؛ لولا أن أبا إسحاق السَّبيعي ـ وهو عمرو بن عبدالله ـ مدلس مختلط، وقد عنعنه في جميع الطرق عنه.

الثانية: من طريق محمد بن آدم المصيصي: حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ غريباً، فطوبى للغُرباء».

قيل: ومن هم يا رسول الله؟

قال: «الذين يُصْلِحون إذا فسدَ الناسُ».

أخرجه أبوعمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢٥ / ١)[1]، والآجري في «الغرباء» (ص ١٥ ـ ١٦)؛ إلا أنه ذكر أبا إسحاق مكان أبي صالح (!).

قلت: وهٰذا سند صحيح رجاله ثقات.

وبهٰذا؛ فحديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ صحيح دون قوله:

«النُّزَّاع من القبائل».

٢ ـ حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما.

وله عنه طرق:

الأولى: من طريق محمد بن رافع والفضل بن سهل: حدثنا شباب

---

(١) نقلاً عن «سلسلة الأحاديث الصحيحة» لشيخنا حفظه الله (٣ / ٢٦٧).

ابن سوار: حدثنا عاصم ـ هو ابن محمد العمري ـ عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرِزُ بين المسجدين كما تأرِز الحية في حجرها».

أخرجه مسلم (٢ / ٧٦ ـ نووي)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢ / ٥٢٠)، و «الزهد الكبير» (٢٠٣)، وابن منده في «الإيمان» (ص ٥٢٠).

الثانية: من طريق جرير عن ليث عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:

«بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء».

أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٤)، والبزار (٤ / ٩٤ ـ الكشف).

وقال الهيثمي:

«هو في الصحيح خلا قوله: (فطوبى للغرباء)».

وزاد في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٧٨):

«ورواه البزار، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس».

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن ليثاً مدلس مختلط.

وقد جاء جرير متابعاً لليث عند القضاعي، والصواب أنه راوٍ عنه، وليس متابعاً له؛ للوجوه الآتية:

١ ـ أن البزار قال:

«لا نعلم رواه عن ليث إلا جرير».

٢ ـ جرير هو ابن عبدالحميد الضبي، وليس جرير بن حازم؛ لأن المِزِّي ذكر في «تهذيب الكمال» (٤ / ٥٤٣) يوسف بن موسى الراوي عنه عند البزار، وابن قدامة الراوي عنه عند القضاعي في ترجمة الأول.

٣ ـ جرير بن عبدالحميد لم يُذكر له رواية عن نافع مولى ابن عمر، ولكن ذُكر ليث بن أبي سليم في شيوخه؛ كما في «تهذيب الكمال» (٤ / ٥٤٢).

٤ ـ أخرج البخاري في «التاريخ الكبير» (٢ / ١٠٩ ـ ١١٠) عن بلال الفزاري مرسلًا:

«بدأ الإسلام غريباً».

من طريق إسحاق عن جرير عن ليث عنه به.

فجاء جرير في هٰذا الإسناد أيضاً راوياً وليس متابعاً.

فإذا ثبت هٰذا، فإعلالُ الحافظ الهيثمي للحديث في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٧٨) بليث بن أبي سليم صواب، ولا وجه عندي لمن تعقَّبه، والله أعلم.

الثالثة: من طريق يحيى بن المتوكل قال: حدثتني أمي أنها سمعت سالم بن عبدالله بن عمر ـ قال يحيى: وقد رأيتُ سالماً ـ يحدث عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغُرباء، ألا لا غربةَ على المؤمن ما مات مؤمناً».

أخـرجـه ابن وضـاح القـرطبي في «البـدع والنهي عنهـا» (١٨٨)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٢)، وقال:

«ورواه محمـد بن يزيـد بن عبـدالله بن عمـر عن ابن عمر دون قوله: «فطوبى للغرباء»، ومن ذٰلك الوجه أخرجه مسلم».

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف؛ لأن يحيى بن المتوكل المدني أبا عقيل ضعيف؛ كما في «التقريب».

٣ ـ حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما:

قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده:

«طوبى للغرباء».

فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟

قال: «أناس صالحون في أُناس سوء كثير، من يعصِيهم أكثر ممَّن يطيعهم».

أخرجه أحمد (١ / ١٧٧ و٢٢٢)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢ / ٥١٧)، وابن المبـارك في «الـزهـد» (ص ٢٦٦)، وابن وضـاح في «البدع والنهي عنها» (١٨٥)، والآجري في «الغرباء» (ص ٢٢ ـ ٢٣)؛ من طريق ابن لهيعة: ثنا الحارث بن يزيد عن جندب بن عبدالله عن سفيان بن عوف عنه به مرفوعاً.

وعـزاه الهيثمي في «مجمـع الزوائد» (٧ / ٢٨٧) لأحمد، والطبراني في «الأوسط»، وضعفه بابن لهيعة.

قلت: رواية العبادلة عن ابن لهيعة تقوي حديثه؛ كما في «التهذيب» (٥ / ٣٧٥ و٣٧٨)، و«الضعفـاء والمتـروكـون» للدارقطني، و«تـذكـرة الحفاظ» (١ / ٢٣٨).

وسفيان بن عوف القارّي؛ وثقه ابن حبان؛ كما في «تعجيل المنفعة» (ص ١٥٥)، والعجلي في «الثقات» (٥٧٦).

وجندب بن عبدالله العدواني؛ وثقه العجلي في «الثقات» (٢٢٠).

وتوثيق ابن حبان والعجلي لا يعتمد عليه؛ لتساهلهما.

لكن للحديث إسناداً آخر عن ابن لهيعة.

أخـرجـه ابن عسـاكـر (١٢ / ٨ / ١) من طريق ابن المبارك عن ابن لهيعـة عن يزيـد بن حبيب عن أبي عبـدالـرحمن المعـافري عن سفيان بن عبدالله عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً.

وهٰـذا إسنـاد جيـد، وابن لهيعـة ثقـة صحيـح الحديث إذا روى عنه العبادلة، ومنهم ابن المبارك؛ كما بيَّنا آنفاً، وكذٰلك صرح بالتحديث؛ كما في الإسناد الأول.

وبـذٰلـك يكـون لابن لهيعة في هٰذا الحديث إسنادان، رواه عنه ابن المبـارك تارة بهٰـذا وأخـرى بذاك، فصـح الحـديث، والحمـد لله الذي تتمُّ بنعمته الصالحات.

زاد ابن المبارك (٧٧٥)، وأحمد (١ / ٢٢٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٥):

وكنا عند رسول الله ﷺ يوماً آخر حين طلعت الشمس، فقال:

«سيأتي ناسٌ من أمَّتي يوم القيامة نورهم كضوء الشمس».

قلنا: ومَن أولٰئك يا رسول الله؟

فقال: «فقراء المهاجرين الذين تُتَّقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره، يُحشَرون من أقطار الأرض».

وأفردها الآجُري في «الغرباء» (ص ٧٣)، لكن بالإسناد الأول نفسه، وفيه ضعف كما بيَّنَّا.

الثالثة: من طريق سفيان بن وكيع: حدثنا عبدالله بن رجاء عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:

«أحب شيء إلى الله الغرباء».

قال: «الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله عزَّ وجل يوم القيامة مع عيسى ابن مريم عليه السلام».

أخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص ١٨٧)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٦)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١ / ٢٥).

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف؛ لأن فيه سفيان بن وكيع بن الجراح، كان صدوقاً؛ إلا أنه ابْتُلِي بورَّاقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنُصِحَ، فلم يقبلْ، فسقط حديثه.

٤ ـ حديث عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما .

قال: قال ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغُرباء».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٠٧٤)، و«الأوسط» (٤٢٤ ـ مجمع البحرين) من طريق جرير عن ليث عن مجاهد عنه به.

وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٧٨) للطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وقال:

«وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ثقة».

وقال (٧ / ٣٠٩):

«وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس».

قلت: كلا، فإن ليثاً ضعيف، فقد قال الحافظ في «التقريب» (٢ / ١٣٨):

صدوق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه، فترك.

٥ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

وله عنه طرق:

الأولى: من طريق مروان بن معاوية الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغُرباء».

أخـرجـه مسلم (٢ / ١٧٥ ـ ١٧٦)، وابن ماجـه (٢ / ٣٢٠)، وابن حزم في «الإحكـام في أصـول الأحكـام» (٨ / ٣٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١ / ٣٠٧)، و«شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٣)، والآجـري في «الغـربـاء» (ص ٢٠)، وأبوعوانة (١ / ١٠١ ـ ١٠٢)، وابن منده في «الإيمان» (ص ٥٢١).

وزاد اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢ / ١١٢)، وابن عدي في «الكـامـل» (٢ / ٤٦٢)[1]؛ من طريق آخـر عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعاً:

قالوا: يا رسول الله وما الغرباء؟.

قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس».

قلت: وإسنـادهـا ضعيف؛ لأن فيهـا بكـر بن سليم الصَّـوَّاف فيـه ضعف؛ كمـا في «الكـامل» (٢ / ٤٦٢)، و«التقريب» (١ / ١٠٥)، لكن يكتب حديثه للاعتبار.

وهٰذه الزيادة ثابتة من طرق أخرى، وسيأتي الكلام عليها مفردة ـ إن شاء الله.

الثانية: من طريق العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: وذكره.

---

(١) وقع في «الكامل»: «عن أبي حازم عن الأعرج»، وهوتطبيع قبيح، فإن أبا حازم هو الأعرج سلمة بن دينار، فوا أسفاه على غربة هٰذا العلم!

أخـرجـه أحمـد (٢ / ٣٨٩)، والطحـاوي في «مشكل الآثار» (٢ / ٢٩٨)، وابن أبي شيبة (١٣ / ٢٣٧)، والقضاعي (١٠٥١)، وابن منده في «الإيمان» (ص ٥٢٠).

قلت: وهٰذا إسناد حسن.

العلاء بن عبدالرحمن صدوق ربما وهم، وأبوه ثقة؛ كما في «التقريب».

٦ ـ حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه.

قال: قال ﷺ:

«بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

عزاه الهيثمي في «مجمـع الـزوائـد» (٧ / ٢٧٨) إلى الطبـراني في «الأوسط»، وقال:

«فيه عطية ـ يعني العوفي ـ وهو ضعيف».

٧ ـ حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه.

قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

قلنا: من هم يا رسول الله؟

قال: «الذين يصلحون حين يفسد الناس».

أخـرجـه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١ / ٢٩٨)، واللالكائي في

«شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السنـة والجمـاعة» (٢ / ١١٢)، والبيهقي في «الـزهـد الكبيـر» (٢٠٠) من طريق عبـدالله بن صالح: حدثني الليث بن سعد قال: حدثني يحيى بن سعيد عن خالد بن عمران: قال أبو عياش عنه به.

وعـزاه الهيثمي في «مجمـع الـزوائـد» (٧ / ٢٧٨) إلى الطبراني في «الأوسط» وقال:

«فيه عبدالله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، وقد وُثِّقَ».

قلت: وهو كما قال، وباقي رجاله محتج بهم.

٨ ـ حديث سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه.

قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء».

قالوا: يا رسول الله وما الغرباء؟

قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس».

أخـرجـه الطبـراني في «الكبيـر» (٦ / ١٦٤)، و«الصغيـر» (١ / ١٠٤)، والـقـضـاعي في «الشهـاب» (١٠٥٥)، والـدولابي في «الكنى والأسمـاء» (١ / ١٩٢ ـ ١٩٣)، وابن عدي في «الكـامـل» (٢ / ٤٦٢)؛ كلهم من طريق أبي الطـاهـر أحمد بن عمر بن السرح: ثنا أبو سليم بكر بن سليم الصواف: ثنا أبو حازم عنه به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٧٨):

«ورجاله رجال الصحيح؛ غير بكر بن سليم، وهو ثقة».

قلت: بكر بن سليم فيه ضعف، لكن يستشهد به في المتابعات والشواهد؛ لذلك قال الحافظ في «التقريب»:

«مقبول».

أي: عند المتابعة، وإلا فليِّن.

٩ ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه.

وله عنه طرق:

الأولى: من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١ / ٢٩٨).

قال البوصيري:

«حديث أنس حسن، وسنان بن سعد بن سنان؛ مختلف فيه».

قلت: ويقال: سعد بن سنان؛ كما وقع عند الطحاوي، وهو الصواب؛ كما قال الحافظ في «التقريب» (١ / ٢٨٧)، وهو صدوق له أفراد، فالحديث حسن.

الثانية: أخرجها أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢ / ٣): حدثنا

عبـدالله بن محمـد: حدثنـا أبـوعبـدالرحمن المقري: حدثنا إسماعيل بن زياد: ثنا حميد بن موسى الرازي: ثنا أبوعصمة عاصم بن عبدالله: ثنا عباد بن منصور عن الحسن عن أنس وذكره.

قلت: وهٰذا إسناد فيه ضعف.

الثالثة: من طريق عثمان بن دينار عن أخيه مالك بن دينار عن أنس: وذكره.

قلت: إسنادها ضعيف.

لكن الحديث صحيح بمجموع طرقه، والله أعلم.

١٠ ـ حديث عبدالرحمن بن سَنَّة ـ رضي الله عنه.

وله عنه طرق:

الأولى: من طريق إسحـاق بن عبـدالله بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبدالرحمن بن سنة أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«بدأ الإسلام غريباً، ثم يعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟

قال: «الـذين يصلحـون إذا فسد الناس، والذي نفسي بيده لينحازنَّ الإيمـان إلى المـدينـة كما يحوز السيل، والذي نفسي بيده ليأرزن الإسلام إلى ما بين المسجدين كما تأرز الحية إلى حجرها».

أخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائده» (٤ / ٧٣ ـ ٧٤)، وابن وضاح

في «البدع والنهي عنها» (١٨٩)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣ / ٣٥٣).

وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٧٨) إلى الطبراني، وقال:

«فيه إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، وهو متروك».

وضعفه الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢ / ٤٠١).

قلت: هذا إسناد ضعيف جداً؛ لأن ابن أبي فروة متروك، لكن للجملة الأخيرة شاهد صحيح من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها».

أخرجه البخاري (٤ / ٩٣ ـ الفتح)، ومسلم (٢ / ١٧٦ ـ نووي)، وابن ماجه (٣١١١)، وأحمد (٢ / ٢٨٦، ٤٢٢، ٤٩٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١ / ١١٩ ـ ١٢٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢ / ٥٢٠)، وابن منده في «الإيمان» (ص ٥١٩)؛ من طريق عبيدالله بن خبيب ابن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم عنه به.

الثانية: من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: حدثني ابن سنة أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

أخرجه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢ / ١١٩)، وأبو نعيم

في «ذكر أخبار أصبهان» (٢ / ٨٣)، واللفظ له.

قلت: وهٰذا إسناد صحيح، وبه يثبتُ الحديث، ولله الحمد.

ولقد اعتمد مترجمو الصحابة على الإسناد الأول في إثبات صحبة عبدالرحمن بن سنة، وهو ضعيف جداً، فالأولى أن يضاف إليه هٰذا الإسناد الصحيح؛ لقطع دابر الشك الذي خالج بعض مترجميه.

١١ ـ حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الإيمان بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الإيمان بين هٰذين المسجدين كما تأرز الحية في حجرها».

أخرجه أحمد (١ / ١٨٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢ / ٩٩)، والبزار في «كشف الأستار» (٤ / ٩٨)، وابن منده في «الإيمان» (ص ٥٢١ ـ ٥٢٢)؛ من طريق أبي حازم حدثه ابن لسعد بن أبي وقاص ـ وأحسبه عامراً ـ قال: سمعت أبي يقول: وذكره.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٧٧):

«ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح».

قلت: هٰذا إسناد صحيح.

وابن سعد هو عامر؛ كما جاء مفسراً عند البزار، وابن منده، وهو ثقة.

وأبو حازم هو سلمة بن دينار؛ ثقة عابد.

١٢ ـ حديث سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه .

قال: قال رسول الله ﷺ:

«بدأ الإسلام غريباً».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩):

«رواه الطبراني، وفيه عيسى بن ميمون، وهو متروك».

١٣ ـ حديث عمرو بن عوف المزني ـ رضي الله عنه .

أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى حجرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي».

أخرجه الترمذي (٥ / ١٨)، وابن عدي في «الكامل» (٦ / ٢٨٠) بهٰذا التمام من طريق كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده.

وقال الترمذي:

«هٰذا حديث حسن صحيح».

قلت: وهٰذا من تساهله ـ رحمه الله ـ فإن كثيراً ضعيفٌ جداً، بل اتهمه الشافعي ـ رحمه الله ـ بالكذب، فقال:

«ركن من أركان الكذب».

لذلك عيب على الترمذي، فقال الذهبي في «الميزان» (٣ / ٤٠٧):

«وأما الترمذي؛ فروى حديثه: الصلح جائز بين المسلمين، وصححه، فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي».

وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (١ / ١٢٠) تعليقاً.

وأما الشطر الأخير؛ فقد أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٢ و١٠٥٣)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١ / ١١٢)، و«شرف أصحاب الحديث» (٢٣)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢ / ١٢٠)، والبزار في «كشف الأستار» (٤ / ٩٨)، وأبونعيم في «الحلية» (٢ / ١٠)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٧)، والقاضي عياض في «الإلماع» (١٨ ـ ١٩)، والصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (١ / ١٢٠ ـ منيرية)؛ من طريق كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده.

١٤ ـ حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهم.

قالوا: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢ / ٤٨١)، والآجري في «الغرباء» (ص ٢١) بهذا اللفظ، وأخرجه الطبراني في

«الكبير» (٧ / ١٥٢)، وابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، وابن عدي في «الكامل» (٦ / ٢٠٨٩) في حديث طويل.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١ / ١٥٦ و٧ / ٢٥٩) بتمامه وقال:

«فيه كثير بن مروان، وهو ضعيف جداً».

واختصره (١ / ١٠٦)، وقال:

«وفيه كثير بن مروان؛ كذبه يحيى والدارقطني».

وقال ابن حبان:

«منكر الحديث جداً، لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه؛ إلا من جهة التعجب».

وأخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠١) مع زيادة.

كلهم من طريق كثير بن مروان الفلسطيني عن عبدالله بن يزيد بن آدم الدمشقي عنهم به.

قلت: وهٰذا إسناد ساقط بمرة؛ لأن مداره على كثير بن مروان، وقد علمت أمره، وعبدالله بن يزيد بن آدم ضعيف؛ كما في «التقريب»، وقال الجوزجاني في «أحوال الرجال» (٢٩٠):

«أحاديثه منكرة».

١٥ ـ حديث يحيى بن سعيد مرسلاً.

قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء».

فقيل: يا رسول الله، من الغرباء؟

قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس».

أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (١٢٤٥): حدثنا قبيصة عن سفيان عنه به مرسلاً.

قلت: ورواية قبيصة عن سفيان فيها مقال.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣ / ٢٣٧) عن أبي خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد عن إبراهيم بن المغيرة أو ابن أبي المغيرة.

قلت: إبراهيم بن المغيرة مجهول؛ كما في «الجرح والتعديل» (٢ / ١٣٦).

١٦ ـ حديث مجاهد مرسلاً.

قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء».

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣ / ٢٣٧) عن عبدالله بن إدريس عن ليث عن مجاهد مرسلاً.

قلت: ليث هو ابن أبي سليم، وهو ضعيف؛ كما تقدم.

١٧ ـ حديث شريح بن عبيد الحضرمي مرسلاً.

قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، ألا لا غربة على المؤمن، ما مات مؤمنٌ في غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض».

أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٢٥ / ٧٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦ / ٤١٢) إلى ابن أبي الدنيا.

قلت: ويشهد له الطريق الثالثة من حديث ابن عمر رضي الله عنه (رقم ٢)، فيعتضد به.

*** أقوال العلماء في تواتر الحديث:**

وممن سلك هٰذا الحديث في نظم المتواتر:

١ ـ **السيوطي** ـ رحمه الله ـ في «تدريب الراوي» (٢ / ١٨٠).

٢ ـ ذكره **السخاوي** في «المقاصد الحسنة» (ص ١١٤) من رواية ثماني عشر نفساً.

٣ ـ وعدَّه **عبدالله بن محمد الصديق الغُماري** في «تعليقاته على المقاصد الحسنة» (ص ١١٤) متواتراً.

٤ ـ وأورد **الكتاني** في «نظم المتناثر» (ص ٣٤ ـ ٣٥) مقالة السيوطي والسخاوي، وأقرهم.

□□□□□



الفصل الثاني:

الزيادات المفسرة للغرباء

جاءت زيادات مفسرة للغرباء، تكلمت عليها مفردة، وها أنا أضمها إلى بعضها بعضاً؛ لنصل إلى قول فصل فيها.

١ ـ النُّزَّاع من القبائل.

لم أرها إلا في حديث عبدالله بن مسعود، وهي ضعيفة؛ لأن مدارها على أبي إسحاق السبيعي، وهو مدلس مختلط.

٢ ـ الذين يصلحون إذا فسد الناس.

جاءت في حديث عبدالله بن مسعود بإسناد صحيح.

وفي حديث أبي هريرة بإسناد فيه بكر بن سليم الصواف، وهو ضعيف، لكن يعتبر به. ومن طريقه أيضاً في حديث سهل بن سعد الساعدي.

وفي حديث جابر بن عبدالله بإسناد فيه عبدالله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، يستشهد به.

وفي حديث عبدالرحمن بن سنة بإسناد فيه إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، وهو متروك لا يفرح به.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد صحيح.

وفي مرسل يحيى بن سعيد بإسناد فيه ضعف.

وبهٰذا يتبين أن هٰذه الجملة صحيحة مستفيضة.

٣ ـ أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم.

جاءت في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو صحيح.

وقد أبعد السبكي النجعة، فذكرها في الباب الذي جمع فيه الأحاديث التي لا أصل لها في كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي، ضمن ترجمته في «طبقات الشافعية» (٤ / ١٤٥).

وهٰذا وهم قبيح، وخاصة أن هٰذه الرواية في «المسند» للإمام أحمد.

٤ ـ هم المتمسكون بما أنتم عليه.

ذكرها الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١ / ٣٨).

وقال الحافظ العراقي:

«يقوله في وصف الغرباء، لم أر له أصلاً».

وحشرها السبكي في الأحاديث التي لا أصل لها الواردة في «إحياء علوم الدين» ضمن ترجمة الغزالي في «طبقات الشافعية» (٤ / ١٤٥).

قلت: والأمر كما قالا.

٥ ـ الفرَّارون بدينهم يبعثهم الله عز وجل يوم القيامة مع عيسى بن مريم عليه السلام.

جاءت في حديث عبدالله بن عمرو بإسناد ضعيف.

٦ ـ الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي.

جاءت في حديث كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده، وهو واه بمرة.





الباب الثاني

الغربة والغرباء

الفصل الأول:

كلام شيخ الإسلام في الغربة والغرباء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٨ / ٢٩١ - ٣٠٥) في قول النبي ﷺ في الحديثِ الصحيحِ:

«بَدَأَ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدَأَ، فطُوبى للغُرَباء»[١]:

لا يقتضي هٰذا أنَّه إذا صارَ غَريباً يجوزُ تركُه - والعياذُ باللهِ - بلْ هُوكما قالَ الله تعالى: ﴿ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلَنْ يُقْبَلَ منهُ وهُو في الآخِرَةِ مِن الخاسِرينَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلَّا وأنْتُم مُسْلِمونَ﴾[٤].

---

(١) حديث متواتر تقدم تخريجه.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) آل عمران: ١٠٢.

وقال تعالى: ﴿ومَن يَرْغَبُ عنْ مِلَّةِ إبْراهيمَ إلَّا مَن سَفِهَ نفسَهُ ولقدِ اصْطَفَيْناهُ في الدُّنيا وإنَّهُ في الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحينَ . إذْ قالَ لهُ ربُّهُ أسْلِمْ قالَ أسْلَمْتُ لربِّ العالَمينَ . ووَصَّى بها إبراهيمُ بنيهِ ويَعْقوبُ يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ اصْطَفى لكُم الدِّينَ فلا تَموتُنَّ إلا وأنْتُم مُسْلِمونَ﴾(٥).

وقدْ بَسَطْنا الكلامَ على هٰذا في موضعٍ آخَرَ، وبيَّنَّا أنَّ الأنبياءَ كُلَّهُم كانَ دينُهُم الإسلامَ مِن نوحٍ إلى المسيحِ(٦).

ولهٰذا لمَّا بدأ الإسلامُ غريباً؛ لم يَكُنْ غيرُهُ مِن الدِّينِ مقبولاً، بل قد ثَبَتَ في الحديثِ الصحيحِ - حديثِ عِياضِ بن حِمارٍ - عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال:

«إنَّ اللهَ نَظَرَ إلى أهْلِ الأرضِ، فمَقَتَهُم - عرَبِهِم وعَجَمِهِم - إلا بقايا من أهلِ الكتابِ». . . الحديث(٧).

ولا يقتضي هٰذا أنَّه إذا صارَ غريباً أنَّ المُتَمَسِّكَ بهِ يكونُ في شرٍّ، بل هُو أسعَدُ النَّاسِ؛ كما قال في تمامِ الحديثِ:

---

(٥) البقرة: ١٣٠ - ١٣٣.

(٦) كما ثبت في البخاري (٦ / ٤٧٧ - ٤٧٨ - الفتح)، ومسلم (١٥ / ١١٩ - نووي) والسياق له؛ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال:

«أنا أوْلى الناسِ بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة».

قالوا: كيف يا رسول الله؟!

قال: «الأنبياءُ إخوةٌ مِن علاَّتٍ، وأُمَّهاتُهم شتَّى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي».

(٧) أخرجه مسلم (١٧ / ١٩٧ - ١٩٨ - نووي)، وأحمد (٤ / ١٦٢).

«فطوبى للغُرباءِ».

و (طـوبى) من الطيب؛ قال تعالى: ﴿طُوبَى لهُم وحُسْنُ مآبٍ﴾[8]، فإنَّه يكون من جنسِ السابقينَ الأوَّلينَ الذينَ اتَّبعوهُ لمَّا كانَ غريباً.

وهم أسعَدُ النَّاسِ:

أمَّا في الآخرَةِ؛ فهم أعْلى النَّاسِ درَجَةً بعدَ الأنبياءِ عليهِم السلامُ.

وأما في الدُّنيا؛ فقد قال تعالى: ﴿يا أيُّها النَّبيُّ حَسْبُكَ الله ومَنِ اتَّبَعَكَ مِن المؤمِنينَ﴾[9].

أي: أنَّ الله حَسْبُكَ وحسبُ مُتَّبِعِكَ.

وقال تعالى: ﴿إنَّ وَليِّيَ الله الذي نَزَّلَ الكِتابَ وهُو يَتَولَّى الصَّالِحينَ﴾[10].

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ الله بِكافٍ عبدَهُ﴾[11].

وقـال: ﴿ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَـلْ لهُ مَخْرَجاً ويَرْزُقْهُ مِن حيثُ لا يَحْتَسِبُ ومَن يَتوكَّلْ على الله فهُو حسْبُهُ﴾[12].

---

(٨) الرعد: ٢٩.

(٩) الأنفال: ٦٤.

(١٠) الأعراف: ١٩٦.

(١١) الزمر: ٣٦.

(١٢) الطلاق: ٢ ـ ٣.

فالمُسْلِم المُتَّبِعُ للرسولِ ؛ الله ـ تعالى ـ حسبُهُ وكافيهِ، وهُو وليُّهُ حيثُ كانَ، ومتى كانَ.

ولهٰذا يوجدُ المُسْلِمونَ المُتَمَسِّكونَ بالإسلامِ في بلادِ الكُفْرِ لهُم السَّعادةَ كلَّما كانوا أتَمَّ تمسُّكاً بالإسلامِ، فإنْ دَخَلَ عليهم شرٌّ؛ كانَ بذُنوبِهِم، حتَّى إنَّ المُشركينَ وأهْلَ الكِتابِ إذا رَأَوُا المُسْلِمَ القائمَ بالإسلامِ؛ عظَّموهُ، وأكْرموهُ، وأَعفَوْهُ مِن الأعمالِ التي يَسْتَعْمِلونَ بها المُنْتَسِبينَ إلى ظاهِرِ الإسلامِ مِن غيرِ عملٍ بحقيقتِهِ لم يُكْرَمْ.

وكذٰلك كانَ المسلمونَ في أوَّلِ الإسلامِ وفي كُلِّ وقتٍ.

فإنَّهُ لا بُدَّ أن يَحْصَلَ للنَّاسِ في الدُّنْيا شرٌّ، ولله على عِبادِهِ نعَمٌ، لكنَّ الشَّرَّ الذي يُصيبُ المسْلِمَ أقَلُّ، والنِّعَمَ التي تَصِلُ إليهِ أكثَرُ، فكانَ المسلِمونَ في أوَّلِ الإسلامِ، وإنْ ابْتُلوا بأذى الكُفَّارِ، والخُروجِ مِن الدِّيارِ، فالذي حَصَلَ للكُفَّارِ مِن الهَلاكِ كانَ أعظَمَ بكثيرٍ، والذي كانَ يحْصَلُ للكُفَّارِ مِن عِزٍّ أو مالٍ كانَ يحْصَلُ للمُسْلِمينَ أكثرُ منهُ، حتى مِن الأجانِبِ.

فرسولُ الله ﷺ ـ مع ما كانَ المُشْرِكونَ يسْعَوْنَ في أذاهُ بكُلِّ طريقٍ ـ كان الله يُدافِعُ عنهُ، ويُعِزُّهُ، ويَمْنَعُهُ، ويَنْصُرُهُ، مِن حيثُ كانَ أَعزُّ قريشٍ ما منهُم إلا مَن كان يَحْصَلُ لهُ مَن يؤذيهِ، ويُهينُهُ مَن لا يُمْكِنُهُ دَفْعُهُ، إذ لكُلِّ كبيرٍ كبيرٌ يناظِرُهُ ويناوئه ويعاديهِ، وهٰذه حالُ مَن لم يَتَّبِعِ الإسلامَ، يَخافُ بعضُهُم بعضاً، ويَرْجو بعضُهُم بعضاً.

وأتباعُهُ الذينَ هاجَروا إلى الحَبَشَةِ أكْرَمَهُم مَلِكُ الحَبَشَةِ، وأَعَزَّهم،

غايةَ الإكرامِ والعِزِّ، والذينَ هاجَروا إلى المدينَةِ فكانوا أكْرَمَ وأعَزَّ.

والذي كان يَحصَلُ لهُم مِن أذى الدُّنيا كانوا يُعَوَّضونَ عنهُ عاجِلاً مِن الإيمانِ وحلاوتِه ولَذَّتِه ما يحْتَمِلونَ بهِ ذٰلك الأذى.

وكانَ أعْداؤهُم يحْصَلُ لهُم مِن الأذى والشَّرِّ أضْعافُ ذٰلك؛ مِن غيرِ عِوَضٍ لا آجلاً ولا عاجِلاً، إذْ كانوا مُعاقَبينَ بِذُنوبِهِم. وكانَ المؤمِنونَ مُمْتَحَنينَ؛ لِيَخْلُصَ إيمانُهم، وتُكَفَّرَ سيِّئاتُهم.

وذٰلك أنَّ المؤمِنَ يعْمَلُ للهِ، فإنْ أُوذِيَ؛ احْتَسَبَ أذاهُ على اللهِ، وإنْ بذَلَ سعياً أوْ مالاً؛ بذَلَهُ للهِ، فاحْتَسبَ أجرَه على اللهِ.

والإيمانُ له حلاوةٌ في القلبِ، ولَذَّةٌ لا يعدِلُها شيءٌ ألبتةَ(١٣).

وقد قال النبيُّ ﷺ:

«ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجَدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ: مَن كانَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ ممَّا سواهُما، ومَن كانَ يحبُّ المرءَ لا يحبُّه إلا للهِ، ومَن كانَ يكرَهُ أنْ يرجِعَ في الكفرِ بعدَ إذْ أنْقَذَهُ اللهُ منهُ كما يكرَهُ أنْ يُلقى في النَّارِ».

أخرجاه في «الصحيحينِ»(١٤).

وفي «صحيح مسلم»:

---

(١٣) انظر رسالتي الموسومة بـ «حلاوة الإيمان في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة».

(١٤) البخاري (١ / ٦٠ - الفتح)، ومسلم (٢ / ١٣ - ١٤ - نووي)؛ من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه.

«ذاقَ طعمَ الإيمانِ مَن رضيَ باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمَّدٍ نبيًّا»(١٥).

وكما أنَّ الله نهى نبيَّه أن يُصيبَهُ حَزَنٌ أو ضيقٌ ممَّن لم يدخُلْ في الإسلامِ في أوَّلِ الأمْرِ؛ فكذلك في آخره، فالمؤمِنُ غنيٌّ أنْ يحزَنَ عليهِم، أو يكونَ في ضيقٍ مِن مكرِهِم.

وكثيرٌ مِن الناسِ إذا رأى المنكَرَ أو تغيَّرَ كثيرٌ من أحوالِ الإسلامِ؛ جَزِعَ، وكَلَّ، وناحَ كما ينوحُ أهلُ المصائبِ، وهو مَنْهِيٌّ عن هٰذا، بل هو مأمورٌ بالصبرِ، والتوكُّلِ، والثباتِ على دينِ الإسلامِ، وأنْ يؤمِنَ باللهِ معَ الذينَ اتَّقَوا والذينَ هُم مُحْسِنونَ، وأنَّ العاقِبَةَ للتَّقوى، وأنَّ ما يُصيبُه فهو بذنوبِهِ فليصْبِر، إنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ، وليَسْتَغْفِرْ لذنبِهِ، وليُسَبِّحْ بحمدِ ربِّه بالعشيِّ والإبكارِ.

وقولُه ﷺ: «ثم يعودُ غريباً كما بدأ»؛ يبيِّنُ شيئينِ:

أحدُهما: أنَّه في أمكنةٍ وأزمنةٍ يعودُ غريباً بينَهُم ثم يظهَرُ؛ كما كانَ في أوَّلِ الأمرِ غريباً، ثمَّ ظهَرَ، ولهٰذا قالَ: «سيعودُ غريباً كما بدأ».

وهو لما بدأ غريباً، لا يُعْرَفُ، ثم ظَهَرَ، وعُرِفَ، فكذٰلك يعودُ حتى لا يُعْرَفُ، ثمَّ يظهَرُ ويُعْرَفُ؛ فيَقِلُّ مَن يعرِفُهُ في أثناءِ الأمْرِ؛ كما كانَ مَن يعرِفُهُ أولاً.

ويحتَمَلُ أنَّه في آخِرِ الدُّنيا لا يبقى مسلماً إلا قليلٌ، وهٰذا إنَّما يكونُ

---

(١٥) مسلم (٢ / ٢ ـ نووي) من حديث العباس بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه.

بعدَ الدَّجَّالِ ويأجوجَ ومأجوجَ عندَ قُربِ الساعةِ، وحينئذٍ يبعَثُ الله ريحاً تَقْبِضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ثمَّ تقومُ القيامَةُ.

وأمَّا قبلَ ذٰلك؛ فقدْ قال ﷺ:

«لا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي على الحقِّ، لا يضرُّهُم مَن خالَفَهُم، ولا مَن خذلَهُم، حتَّى تقومَ الساعةُ».

وهٰذا الحديثُ في «الصَّحيحين»[١٦]، ومثلُهُ مِن عِدَّةِ أوجُه[١٧].

فقد أخبرَ الصادقُ المصدوقُ أنَّه لا تزالُ طائفةٌ ممتَنِعَةٌ من أُمَّتِهِ على الحقِّ أعزاءَ لا يضرُّهم المخالِفُ ولا خِلافُ الخاذِلِ، فأمَّا بقاءُ الإسلامِ غريباً ذليلاً في الأرضِ كلِّها قبلَ الساعةِ؛ فلا يكونُ هٰذا.

وقولُه ﷺ: «ثم يعودُ غريباً كما بدأ»[١٨]: أعظمُ ما تكونُ غربتُه إذا ارتدَّ الداخلونَ فيهِ عنهُ، وقد قالَ تعالى:

---

(١٦) هو في «الصحيحين» من حديث:

ـ معاوية بن أبي سفيان: البخاري (٦ / ٦٣٢ و١٣ / ٤٤٢ ـ الفتح)، ومسلم (١٣ / ٦٦ ـ ٦٧ ـ نووي).

ـ المغيرة بن شعبة: البخاري (٦ / ٦٣٢ و١٣ / ٢٩٣، ٤٤٢ ـ الفتح)، ومسلم (١٣ / ٦٥ ـ ٦٦ ـ نووي)..

(١٧) كأنه يشير إلى تواتره، وقد صرح بذٰلك في كتابه المستطاب: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (ص ٦)، وأقره الكتاني في «نظم المتناثر» (ص ٩٣).

قلت: وهو كما قالا، وقد أوعبتُ في تخريج طرقه ورواياته عن بضعة عشر صحابياً في كتابي الموسوم بـ «اللآلىء المنثورة بأوصاف الطائفة المنصورة».

(١٨) جزء من حديث مضى تخريجه (رقم ١).

﴿مَن يَرْتَدَّ منكُم عنْ دينِهِ فسوفَ يأتي الله بقوْمٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّونه أذِلَّةٍ على المـؤمِنينَ أعِـزَّةٍ على الكـافِـرينَ يُجاهِدونَ في سبيلِ اللهِ ولا يَخافونَ لومَةَ لائمٍ﴾[١٩].

فهٰؤلاءِ يقيمونَهُ إذا ارتدَّ عنه أولٰئكَ.

وكذٰلك بدأ غريباً، ولم يزلْ يقْوى حتَّى انْتَشَرَ، فهٰكذا يتَغَرَّبُ في كثيرٍ من الأمكنـةِ والأزمنـةِ، ثمَّ يظهرُ حتى يقيمَه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كما كان عمرُ بنُ عبـدِالعـزيزِ لمَّا ولي قد تغَرَّبَ كثيرٌ مِن الإسلامِ على كثيرٍ مِن الناسِ، حتَّى كان منهُم مَن لا يعرِفُ تحريمَ الخمرِ، فأظْهَرَ الله بهِ في الإسلامِ ما كانَ غريباً.

وفي «السنن»:

«إنَّ الله يبْعَثُ لهٰذهِ الأمَّةِ في رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَن يجدِّد لها دينَها»[٢٠].

والتجديدُ إنَّما يكونُ بعد الدُّروسِ، وذاكَ هُو غُربةُ الإسلامِ.

وهٰـذا الحـديثُ يفيـدُ المسلِمَ أنَّـه لا يغتمُّ بقلَّةِ مَن يعـرِفُ حقيقـةَ

---

(١٩) المائدة: ٥٤.

(٢٠) أخـرجـه أبـو داود (٤٢٩١)، والحـاكم (٤ / ٥٢٢)، والخطيب البغدادي في «تـاريـخ بغـداد» (٢ / ٦١)، وغيرهم؛ من طريق ابن وهب: أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة: وذكره مرفوعاً.

قلت: وهٰذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم.

الإِسـلامِ ، ولا يضيقُ صدرُهُ بذٰلـك، ولا يكونُ في شكٍّ مِن دينِ الإِسلامِ ؛ كما كانَ الأمرُ حينَ بدَأَ .

قال تعـالى : ﴿فـإنْ كُنْتَ في شكٍّ ممَّـا أنـزَلْنـا إليـكَ فاسـألِ الذينَ يقرؤونَ الكِتابَ مِن قبلِكَ﴾[٢١] .

إلى غير ذٰلك من الآياتِ والبراهينِ الدَّالَّةِ على صحَّةِ الإِسلامِ .

وكـذٰلـك إذا تغـرَّبَ يحتـاجُ صاحِبُـه مِن الأدلَّةِ والبراهينِ إلى نظيرِ ما احتاجَ إليهِ في أوَّلِ الأمرِ.

وقـد قال لهُ : ﴿أفَغَيْـرَ اللهِ أبْتَغي حَكَمـاً وهُو الذي أنْزَلَ إليكُمُ الكِتابَ مُفَصَّلاً والذينَ آتيناهُم الكِتابَ يَعْلَمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن ربِّكَ بالحَقِّ فلا تَكونَنَّ مِن المُمْتَـرينَ . وتَمَّتْ كَلِمَـةُ ربِّـكَ صِدْقـاً وعَـدْلاً لا مُبَـدِّلَ لكَلمـاتِهِ وهُو السميـعُ العليمُ . وإنْ تُطِـعْ أكْثَـرَ مَن في الأرضِ يُضلُّوكَ عن سبيلِ اللهِ إنْ يتَّبِعونَ إلا الظَّنَّ وإنْ هُم إلا يَخْرُصون﴾[٢٢] .

وقال تعالى : ﴿أمْ تَحْسَبُ أنَّ أكثرَهُم يسمَعونَ أوْ يَعْقِلونَ إنْ هُم إلا كالأنعامِ بلْ هُم أضَلُّ سَبيلاً﴾[٢٣] .

وقـد تكـونُ الغـربـةُ في بعضِ شَرائِعِـهِ ، وقـد يكونُ ذٰلك في بعضِ الامكنةِ ، ففي كثيرٍ من الأمكنَةِ يَخْفى عليهِم مِن شرائِعِه ما يصيرُ [به] غريباً

---

(٢١) يونس : ٩٤ .

(٢٢) الأنعام : ١١٤ ـ ١١٦ .

(٢٣) الفرقان : ٤٤ .

بينهم، لا يعرِفُه منهُم إلا الواحدُ بعدَ الواحِدِ.

ومـع هذا، فطـوبى لمنْ تَمَسَّـكَ بتلكَ الشريعةِ كما أمَرَ الله ورسولُهُ، فإنَّ إظهارَهُ والأمرَ بهِ والإنكارَ على مَن خالَفَهُ هو بحسَبِ القوَّةِ والأعوانِ.

وقد قالَ النبيُّ ﷺ:

«مَن رأى منكُم منكـراً؛ فلْيُغَيِّـرْهُ بيدِهِ، فإنْ لم يستَطِعْ؛ فبلسانِهِ، فإنْ لم يستَطِعْ؛ فبِقَلْبِه، ليسَ وراء ذلك من الإيمانِ حبَّةُ خردلٍ»(٢٤).

وإذا قُدِّر أنَّ في الناسِ مَن حصَلَ لهُ سوءٌ في الدُّنيا والآخرَةِ بخلافِ ما وعَـدَ الله بهِ رسـولَـهُ وأتبـاعَهُ؛ فهذا مِن ذنوبِهِ، ونقصِ إسلامِهِ؛ كالهزيمةِ التي أصابَتْهم يومَ أُحُدٍ.

وإلا فقدْ قالَ تعالى: ﴿إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والذينَ آمَنوا في الحياةِ الدُّنيا

---

(٢٤) هذا الحديث ملفق من حديثين:

الأول: أخـرجـه مسلم (٢ / ٢١ - ٢٥ - نووي) من حديث أبي سعيـد الخـدري - رضي الله عنه - سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَن رأى منكُم منكراً؛ فليغَيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبِهِ، وذلك أضعف الإيمان».

الثـاني: أخـرجـه مسلم (٢ / ٢٧ - نووي) من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

«مـا من نبيٍّ بعثَـهُ الله في أُمَّتـه قبلي؛ إلا كان له من أمّته حواريُّون وأصحابٌ يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره. ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمَرون، فمن جاهدهم بيده؛ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه؛ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه؛ فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

ويومَ يقومُ الأشهادُ﴾[٢٥] .

وقال تعالى :

﴿ولقدْ سَبَقَتْ كلمتُنا لِعبادِنا المُرْسَلينَ إنَّهُم لهُم المَنْصورونَ . وإنَّ جُنْدَنا لهُم الغالِبونَ﴾[٢٦] .

وفيما قصَّهُ الله ـ تعالى ـ من قَصَصِ الأنبياءِ وأتباعِهم ونصرِهِم ونجاتِهم وهلاكِ أعدائِهم عبرةٌ، والله أعلم .

فإنْ قيل : قولُهُ تبارك وتعالى : **﴿مَن يَرْتَدَّ منكُم عنْ دينِهِ فسوفَ يأتي الله بقومٍ يحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ﴾**[٢٧] هو خطابٌ لذلك القرن؛ كقوله تعالى : **﴿وعَدَ الله الذينَ آمَنوا منكُم وعَمِلوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الذينَ مِن قبلِهِم﴾**[٢٨] .

ولهذا بيَّنَ النبيُّ ﷺ أنَّهم أهلُ اليمَنِ الذينَ دَخَلوا في الإسلامِ لمَّا ارتدَّ مَن ارتدَّ مِن العربِ، ويدُلُّ على ذلك أنَّه في آخرِ الأمرِ لا يبقى مؤمِنٌ .

قيل : قولُه تبارَكَ وتعالى : **﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا﴾** خِطابٌ لِكُلِّ مَن بلغَهُ القرآنُ من المؤمنينَ؛ كسائِرِ أنواعِ هذا الخطابِ؛ كقولِهِ تعالى : **﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا إذا قمْتُم إلى الصَّلاةِ﴾**[٢٩] وأمثالِها، وكذلك قوله تعالى : **﴿وعَدَ**

---

(٢٥) غافر : ٥١ .

(٢٦) الصافات : ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٢٧) المائدة : ٥٤ .

(٢٨) النور : ٥٥ .

(٢٩) المائدة : ٦ .

الله الذينَ آمَنوا منكُم﴾ .

وكِـلاهُمـا وقَـعَ ويقَـعُ ؛ كمـا أخبَـرَ الله ـ عزَّ وجـلَّ ـ فإنَّـه ما ارتدَّ عنِ الإِسـلامِ طائفـةٌ ؛ إلا أتى الله بقـومٍ يحبُّهُم ، يُجاهِدونَ عنهُ ، وهُم الطائِفةُ المنصورَةُ إلى قيامِ الساعةِ(٣٠) .

يُبَيِّنُ ذٰلـك أنَّـه ذكـرَ هٰذا في سيـاقِ النهيِ عن موالاةِ الكفَّـارِ ، فقـالَ تعـالى : ﴿يـا أيُّهـا الـذينَ آمَنـوا لا تَتَّخِـذوا اليهودَ والنَّصارى أولياءَ بعضُهُم أوليـاءُ بعضٍ ومَنْ يَتَـولَّهُم منكُم فإنَّهُ منهُم إنَّ الله لا يَهْدي القومَ الظَّالمينَ . فتَرى الذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ يُسارِعونَ فيهِم يقولونَ نَخْشى أن تُصيبَنا دائِرَةٌ فعسى الله أنْ يأتِيَ بالفتْـحِ أو أمـرٍ مِن عنـدِهِ فيُصْبِحـوا على ما أَسَـرُّوا في أنْفُسِهِم نادِمينَ﴾ إلى قولـه : ﴿يـا أيُّهـا الـذينَ آمَنـوا مَن يَرْتَدَّ منكُم عن دينِهِ فسوفَ يأتي الله بقومٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَه﴾(٣١) .

فالمخاطبون بالنهي عن مُوالاةِ اليهودِ والنَّصارى هم المخاطَبونَ بآيةِ الرِّدَّةِ ، ومعلومٌ أنَّ هٰذا يتناولُ جميعَ قرونِ الأمَّةِ .

وهُـو لمَّـا نهى عن موالاةِ الكفَّارِ ، وبيَّن أنَّ مَن تولاَّهُم مِن المخاطَبينَ فإنَّهُ منهُم ؛ بيَّنَ أنَّ مَن تولاَّهُم وارتَدَّ عَن دينِ الإِسلامِ ، لا يَضُرُّ الإِسلامَ

---

(٣٠) وهم أهل الحديث وحملة العلم العاملون به الداعون إليه الثابتون عليه ؛ كما صرح المصنف في «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٦) .

وقـد أنشأت مصنفـاً حول هٰذه المسألـة أودعت فيـه الأدلـة النقليـة والعقليـة حولها ، ووسمته بـ «اللآلىء المنثورة بأوصاف الطائفة المنصورة» ، وهو قيد الطبع .

(٣١) المائدة : ٥١ ـ ٥٤ .

شيئاً.

بل سيأْتي الله بقومٍ يحِبُّهم ويحِبُّونَه؛ فيتَولَّوْنَ المؤمنينَ دونَ الكفارِ، ويُجاهِدونَ في سبيلِ اللهِ لا يخافونَ لومةَ لائمٍ؛ كما قالَ في أوَّلِ الأمرِ: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بها هٰؤلاءِ فقدْ وكَّلْنا بها قوماً ليسوا بِكافِرينَ﴾[٣٢].

فهٰؤلاء الذين لم يدخُلوا في الإسلامِ، وأولٰئك الذينَ خرجوا منهُ بعدَ الدُّخولِ فيه؛ لا يضرُّونَ الإسلامَ شيئاً، بل يقيمُ الله مَن يؤمِنُ بما جاءَ بهِ رسولُهُ وينصُرُ دينَهُ إلى قيامِ السَّاعَةِ.

وأهلُ اليمنِ هُم ممَّن جاءَ الله بهِم لمَّا ارتدَّ مَن ارتدَّ إذ ذاك، وليستْ الآيةُ مختَصَّةً بهِم، ولا في الحديثِ ما يوجِبُ تخصيصَهم، بل قد أخبَرَ الله أنَّه يأتي بغيرِ أهلِ اليمنِ؛ كأبناءِ فارس[٣٣]، لا يختَصُّ الوعدُ بهِم.

---

(٣٢) الأنعام: ٨٩.

(٣٣) كأنه يشير إلى حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ تلا هٰذه الآية: ﴿وإنْ تَتولَّوْا يَسْتَبْدِلْ قوماً غيركُم ثُمَّ لا يكونوا أمثالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].
فقالوا: يا رسول الله! من هٰؤلاء القوم الذين إن تولَّينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟
فضرب رسول الله ﷺ على منكب سليمان، ثم قال:
«هٰذا وقومه. والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا؛ لتناوله رجال من فارس».
أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٦ / ٤٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٢٠٠)، وغيرهما؛ من طرق عن مسلم بن خالد عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عنه به.
قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ١٩٦):
«تفرد به مسلم بن خالد الزنجي، ورواه عنه غير واحد، وقد تكلم فيه بعض الأئمة ـ رحمة الله عليهم ـ والله أعلم». =

= وقال شيخنا ـ حفظه الله ـ في «السلسلة الصحيحة» (٣ / ١٤) بعد أن ساق قول ابن كثير الآنف:

«قلت: وهو ضعيف من قبل حفظه، والسبب الذي ساقه للحديث يخالف ما رواه أبو الغيث عن أبي هريرة في اللفظ الأول».

قلت: ولي على كلامهما مؤاخذات ـ لا آخذهما الله:

١ ـ قول الحافظ ابن كثير: «تفرد به مسلم بن خالد الزنجي»؛ غير صحيح، فقد وجدت له عدة متابعات:

الأولى: من طريق إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه غنه به.

أخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» (٦ / ٣٣٤).

قلت: وهٰذه متابعة صحيحة، فإن إسماعيل بن جعفر ثقة ثبت.

الثانية: من طريق عبدالعزيز بن محمد: ثنا العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عنه به.

أخرجها الحاكم (٢ / ٤٥٨)، وقال:

«هٰذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وسكت عنه الذهبي.

قلت: عبدالعزيز بن محمد هو الدراوردي أبو محمد الجهني مولاهم المدني، صدوق؛ كما في «التقريب». فهٰذه المتابعة حسنة الإسناد.

الثالثة: من طريق عبدالله بن جعفر بن نجيح عن العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عنه به. أخرجها الترمذي (٣٢٦١).

قلت: هٰذا إسناد ضعيف؛ لأن عبدالله بن جعفر بن نجيح ـ وهو والد علي بن المديني ـ ضعيف؛ كما في «التقريب»، لكنه يصلح للمتابعة والاستشهاد.

وللحديث شاهد من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ أخرجه ابن مردويه؛ كما في «الدر المنثور» (٧ / ٥٠٦). وبذٰلك نجزم أن الحديث صحيح، ولا حجة لمن ضعفه.

ثم رأيتُ شيخَنا ـ حفظه الله ـ قد أورد متابعين ـ وفاتته الأولى المذكورة هنا ـ للحديث في الاستدراك على «الصحيحة» (٣ / ٤٨٨)، طبعة مكتبة المعارف، وصحح الحديث.

قلتُ: هٰذا ما أردتـهُ، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

بل قد قالَ تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا ما لَكُم إذا قيلَ لكُم انْفِروا في سبيـلِ اللهِ اثَّـاقَلْتُم إلى الأرضِ أرَضيتُم بالحيـاةِ الدُّنيا مِن الآخِرَةِ فما متاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخِرَةِ إلا قليلٌ . إلاَّ تَنْفِروا يُعَذِّبْكُم عذاباً أليماً ويَسْتَبْدِلْ قوماً غيركُم ولا تَضُرُّوهُ شيئاً واللهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾[٣٤].

وهٰـذا أيضـاً خطـابٌ لكُلِّ قرنٍ، وقدْ أخبرَ فيهِ أنَّه من نَكَلَ عنِ الجهادِ المأمورِ بهِ؛ عذَّبهُ، واستَبْدَلَ بهِ مَن يقومُ بالجهادِ، وهٰذا هو الواقِعُ.

وكـذٰلـك قولُـهُ في الآيةِ الأخرى: ﴿ها أنْتُم هٰؤلاءِ تُدْعَوْنَ لتُنْفِقوا في سبيـلِ اللهِ فمنْكُمْ مَن يَبْخَـلُ ومَن يبْخَـلْ فإنَّمـا يَبْخَـلُ على نفسِهِ واللهُ الغَنِيُّ وأنتُم الفُقَراءُ وإنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قوماً غيركُم ثُمَّ لا يكونوا أمثالَكُم﴾[٣٥].

فقـد أخبـرَ تعـالى أنـه مَن يتـولَّ عنِ الجهادِ بنفسهِ أوعنِ الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ؛ استبدَلَ بهِ.

فهٰذه حالُ الجبانِ البخيلِ، يستبدِلُ الله بهِ مَن ينصرُ الإسلامَ، ويُنْفِقُ فيـهِ، فكيفَ تكـونُ حالُ أصـلِ الإسـلامِ؟! مَن ارتـدَّ عنـه؛ أتى الله بقومٍ يحبُّهم ويحبُّـونَـه أذلَّـةٍ على المـؤمنينَ أعـزَّةٍ على الكـافرينَ يُجاهِدونَ في سبيلِ اللهِ ولا يخافونَ لومةَ لائمٍ.

وهٰـذا موجـودٌ في أهـلِ العلمِ، والعبـادةِ، والقتـالِ، والمـالِ؛ مع الطوائفِ الأربعةِ مؤمنون مجاهدونَ منصورون إلى قيامِ الساعةِ؛ كما منهم

---

(٣٤) التوبة: ٣٨ ـ ٣٩.

(٣٥) محمد: ٣٨.

من يرتدُّ أو من يَنْكِلُ عنِ الجهادِ والإنفاقِ.

وكذٰلك قوله تعالى: ﴿**وعَدَ الله الذينَ آمَنوا منكُم وعَمِلوا الصَّالِحاتِ ليَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأرضِ**﴾[٣٦].

فهٰذا الوعدُ مناسبٌ لكلِّ مَن اتَّصَفَ بهٰذا الوصفِ، فلمَّا اتَّصفَ بهِ الأوَّلونَ؛ استخلَفَهُم الله كما وعَدَ، وقد اتَّصَفَ بهِ قومٌ بحسبِ إيمانِهِم وعملِهِم الصالِحِ، فمَن كانَ أكْمَلَ إيماناً وعملاً صالحاً؛ كان استخلافُهُ المذكورُ أتمَّ، فإنْ كان فيهِ نقصٌ وخلَلٌ؛ كان في تمكينِهِ عللٌ ونقصٌ، وذٰلك أنَّ هٰذا جزاءُ هٰذا العملِ، فمَن قامَ بذٰلك العملَ استحقَّ ذٰلك الجزاءَ.

لكنْ ما بقيَ قرنٌ مثلَ القرنِ الأولِ، فلا جَرَمَ ما بقيَ قرنٌ يَتَمَكَّنُ تمكُّنَ القرنِ الأوَّلِ.

قال ﷺ:

«خيرُ القرونِ القرنِ الذينَ بعِثْتُ فيهِم، ثم الذينَ يلونَهُم، ثم الذينَ يلونَهُم»[٣٧].

---

(٣٦) النور: ٥٥.

(٣٧) متواتر. ورد عن جمع من الصحابة، منهم: عمران بن الحصين، وعبدالله بن مسعود، وأبي هريرة، وعائشة، وعمر، والنعمان بن بشير ـ رضي الله عنهم.

وقد نصَّ على تواتره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١ / ١٢)، والسيوطي، وأقره المناوي في «فيض القدير» (٣ / ٤٧٨)، وأقرهم الكتاني في «نظم المتناثر» (ص ١٢٧).

واللفظ الذي أورده المصنف ـ رحمه الله ـ غير محفوظ، وصوابه:

«خير الناس قرني . . .» الحديث.

ولكن قد يكـونُ هٰذا لبعضِ أهـلِ القـرنِ، كما يحصلُ هٰذا لبعضِ المسلمينَ في بعضِ الجهاتِ؛ كما هو معروفٌ في كلِّ زمانٍ.

وأمَّا قولُه ﷺ:

«إنَّ الله يَبْعَثُ ريحاً تَقْبِضُ روحَ كلِّ مؤمِنٍ»[٣٨].

فذاك ليس فيـه ردَّةٌ، بل فيـهِ موتُ المـؤمنينَ، وهو لم يقل: إذا مات كل مؤمن؛ أن يستبـدلَ الله موضعَـهُ آخـر، وإنَّمـا وعَدَ بهٰذا إذا ارتدَّ بعضُهم عن دينِه.

وهُـو ممَّـا يُسْتَـدَلُّ بهِ على أن الأمَّـةَ لا تجتَمِـعُ على ضلالةٍ، ولا ترتَدُّ جميعُها، بل لا بدَّ أنْ يُبقي الله مِن المؤمِنينَ مَن هو ظاهرٌ إلى قيامِ الساعَةِ، فإذا ماتَ كُلُّ مؤمِنٍ؛ فقد جاءتِ الساعَةُ.

وهٰذا كما في حديثِ العلم:

«إنَّ الله لا يقبِضُ العلمَ انتِزاعاً ينتَزِعُهُ مِن الناسِ، ولكنْ يقبِضُ العلمَ بقبضِ العلمـاءِ، فإذا لَمْ يبقَ عالِمٌ؛ اتَّخَـذَ النَّـاسُ رؤساءَ جهالاً، فسُئِلوا، فأفتوا بغيرِ علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا».

والحـديثُ مشهـورٌ في الصِّحـاح، من حديث عبـدالله بن عمرو عن النبي ﷺ[٣٩].

---

(٣٨) جزء من حديث النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ في الدجال.
أخرجه مسلم (١٨ / ٦٣ ـ ٧٠)، وغيره.

(٣٩) أخـرجـه البخـاري (١ / ١٩٤ و١٣ / ٢٨٢ ـ الفتـح)، ومسلم (١٦ / ٢٢٣ ـ ٢٢٥ ـ نووي)، وغيرهم.

فإن قيل: ففي حديث ابن مسعودٍ وغيره أنَّه قال:

«يُسْــرى على القــرآنِ، فلا يَبْقى في المصـاحِفِ منـهُ آيـةٌ، ولا في الصُّدور آيةٌ»[40].

وهٰذا يناقض هٰذا.

قيــل: ليس كذٰلـك، فإنَّ قبضَ العلمِ ليس قبضَ القـرآن، بدليـلِ الحديثِ الآخرِ:

وله شاهدان:

الأول: من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

أخـرجـه الطبـراني في «الأوسـط»؛ كما في «المجمع» (١ / ١٠١)، وابن تيمية في «الأربعين» (١٨ / ١١٤ ـ مجمـوع الفتـاوى)؛ من طريق العـلاء بن سليمان عن الزهري عن أبي سلمة عنه به.

قلت: وهٰذا إسناد حسن.

الثاني: من حديث عائشة ـ رضي الله عنها.

أخـرجـه البـزار (١ / ٢٣٣ ـ الكشف)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥ / ٣١٢ ـ ٣١٣)؛ من طرق عن عروة عنها به.

قلت: وهو إسناد صحيح.

وقد استقصيت رواياته وطرقه في كتابي «نحو خلافة راشدة على منهاج النبوة».

(٤٠) أخرجه الدارمي (٢ / ٤٣٨) بإسنادين عن عبدالله بن مسعود؛ موقوفاً، وأخرجه ابن ماجه (٢ / ١٣٤٤)، والحاكم (٤ / ٤٧٣)؛ من حديث حذيفة بن اليمان مرفوعاً.

قال الحاكم:

«صحيح على شرط مسلم».

ووافقه الذهبي، وشيخنا الألباني.

قلت: وهو كما قالوا.

«هٰذا أوانُ يُقْبَضُ العلمُ».

فقال بعضُ الأنصارِ:

وكيفَ يُقبضُ وقدْ قرأْنا القرآنَ وأقْرأْناهُ نساءَنا وأبناءنا؟

فقال: «ثكلَتْكَ أُمُّكَ! إنْ كنتُ لأحْسِبُكَ لمِن أفْقَهِ أهلِ المدينةِ، أو لَيْسَتِ التوراةُ والإنجيلُ عندَ اليهودِ والنَّصارى؟ فماذا يغني عنهُم؟»(٤١).

فتبيَّنَ أنَّ مجرَّدَ بقاءِ حفظِ الكتابِ لا يوجِبُ هٰذا العلم، لا سيما فإنَّ القرآن يقرأُه المنافِقُ والمؤمِنُ، ويقرأُه الأميُّ الذي لا يعلمُ الكتابَ إلا أمانيَّ.

وقد قال الحسنُ البصريُّ:

«العلمُ علمــانِ: علمٌ في القلبِ، وعلمٌ على اللســانِ، فعلمُ القلبِ هو العلمُ النافعُ، وعلمُ اللسانِ حجةُ اللهِ على عبادِهِ»(٤٢).

---

(٤١) حديث صحيــح ورد عن جمــاعــة من الصحــابــة منهم: عوف بن مالــك الأشجعي، وشداد بن أوس، وأبي الدرداء، وزياد بن لبيد، وغيرهم.

وقد استوعبت الكلام على أحاديثهم وطرقها ودرجاتها في «تخريج الوصية الصغرى» للمصنف ـ رحمه الله ـ (رقم ٣٨)، فلينظر.

(٤٢) أخـرجـه ابن أبي شيبـة في «الإيمـان» (٩٣) عن الحسن البصـري، ولا يصح عنه، فإن زكريا الحبطي هالك؛ كما قال الذهبي في «الميزان»، وأقره الحافظ في «اللسان».

ومـع ذٰلـك جوَّد إسنـاده الحـافـظ العلائي؛ كما في «فيض القدير» (٥ / ٣٥٦)، ولا أدري ما حجته، ولعله وقف على إسناد آخر، والله أعلم.

وقــد رواه بعض الهــالكين عن الحسن عن أنس مرفــوعــاً، وعن الحسن عن جابـر مرفوعاً، وعن الحسن مرسلاً، ولا يصح شيء من ذٰلك.

=

فإذا قبضَ الله العلمـاءَ؛ بقي مَن يقـرأُ القرآن بلا علمٍ ، فَيُسْرى عليه من المصاحِفِ والصُّدورِ.

فإنْ قيلَ : ففي حديثِ حذيفةَ الذي في «الصحيحين» أنَّه حدثهم عن قبضِ الأمانةِ وأنَّ:

«الرجل ينامُ النومَةَ فتُقْبَضُ الأمانَةُ مِن قلبِهِ، فيظَلُّ أثرُها مثلَ الوَكْتِ[٤٣]. ثم ينامُ النَّومةَ، فتُقْبَضُ الأمانَةُ مِن قلبِهِ، فيظلُّ أثرُها مثلَ أثرِ المِجَلِّ[٤٤]؛ كجمرٍ دَحرَجْتَهُ على رجلِكَ، فتراهُ منبتراً[٤٥] وليس فيهِ شيءٌ»[٤٦].

قيل : وقبضُ الأمانةِ والإيمانِ ليس هو قبضُ العلمِ ، فإنَّ الإنسانَ قد يؤتى إيماناً مع نقصِ علمهِ، فمثلُ هٰذا الإيمانِ قد يُرْفَعُ مِن صدرِهِ، كإيمانِ بني إسرائيلَ لما رأوا العجلَ، وأما مَن أوتي العلمَ معَ الإيمانِ؛ فهٰذا لا يُرْفَعُ من صدرِهِ، ومثـلُ هٰذا لا يرتـدُّ عنِ الإسـلامِ قط، بخـلاف مجرَّدِ القرآن أو

= انظـر: «العلل المتنـاهيـة» لابن الجـوزي (١ / ٨٢ـ٨٣)، و«تخـريـج الأربعين السلمية» للسخاوي (ص ٥٢ ـ ٥٤)، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة» لشيخنا (١٠٩٨).

(٤٣) الوكت: سواد يسير يحدث مخالفاً للون الذي قبله.

(٤٤) المجل: هو التنفط الذي يحدث في اليد نتيجة العمل بفأس أونحوها، ويصير كالقبة فيه ماء قليل.

(٤٥) منتبر: مرتفع.

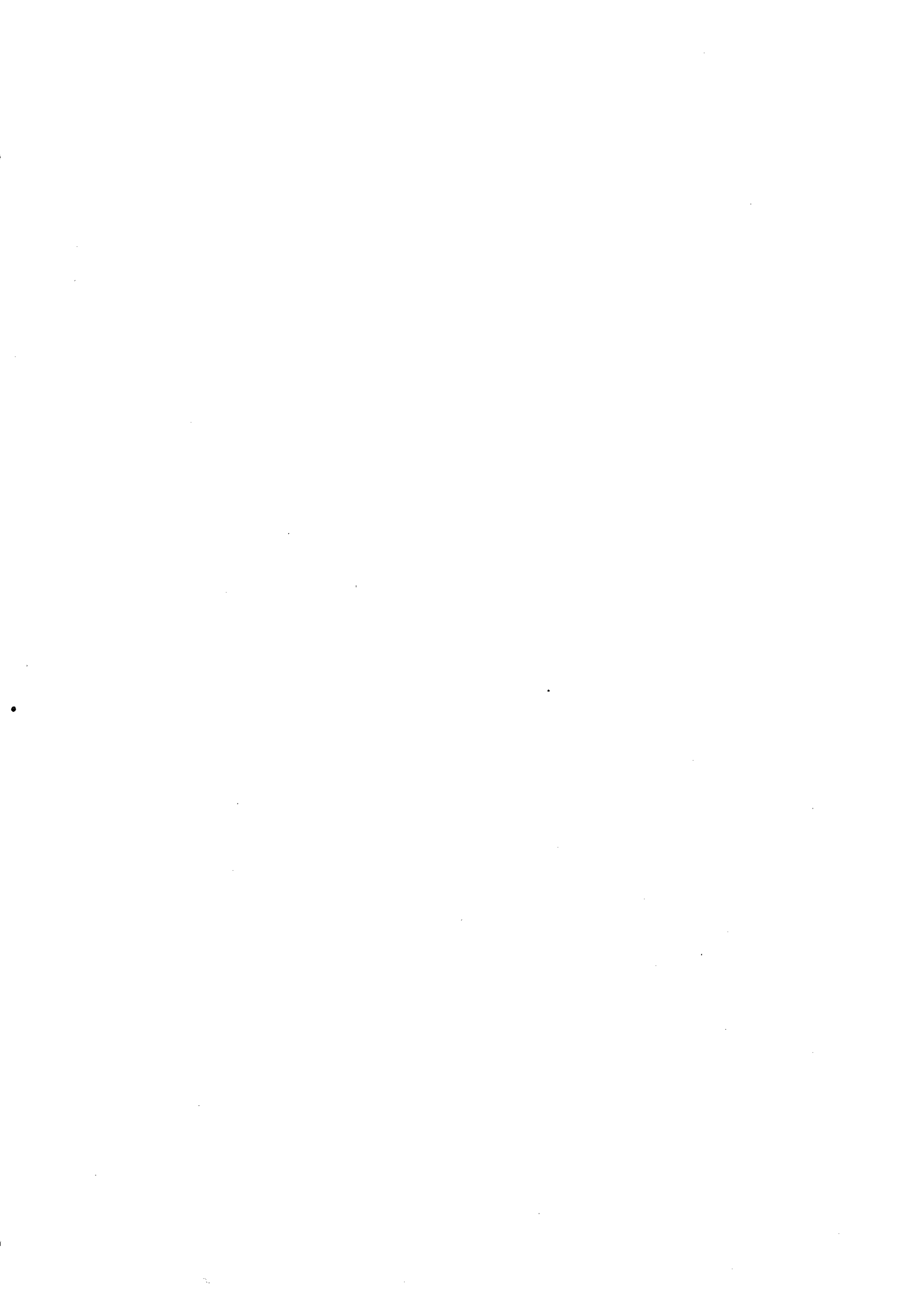
(٤٦) أخـرجـه البخـاري (١١ / ٣٣٣ و١٣ / ٣٨ ، ٢٤٩)، ومسلم (٢ / ١٦٧ ـ ١٧٠ ـ نووي).

مجرَّدِ الإِيمانِ، فإنَّ هٰذا قد يرتَفِعُ.

فهٰذا هو الواقِعُ.

لكن أكثرَ ما نجدُ الرِّدَّةَ فيمن عندَهُ قرآنٌ بلا علم وإيمانٍ، أو مَن عندَهُ إيمـانٌ بلا علمٍ وقـرآنٍ، فأمـا مَن أوتي القرآن والإِيمانَ؛ فحصلَ فيه العلمُ، فهٰذا لا يُرفعُ مِن صدرِهِ. والله أعلـم.

□□□□□



الفصل الثاني:

كلام ابن القيم في الغربة والغرباء

قالَ شيخُ الإسلامِ[1]:

بابُ الغُربةِ:

قالَ الله تعـالى: **﴿فَلَوْلا كانَ مِن القُـرونِ مِن قَبْلِكُم أُولـو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عنِ الفَسادِ في الأرضِ إلاَّ قليلاً ممَّنْ أنْجَيْنا منهُم﴾**[2].

استشهـادُهُ بهٰـذه الآيـةِ في هٰذا البـابِ يدُلُّ على رُسوخِهِ في العِلْمِ، والمَعْـرِفَـةِ، وفَهْمِ القـرآنِ، فإنَّ الغـربـاءَ في العـالَمِ هُم أهْـلُ هٰذهِ الصِّفَةِ المذكورةِ في الآيةِ، وهُمُ الذينَ أشارَ إليهِمُ النبيُّ ﷺ في قولِهِ:

«بدَأَ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غَريباً كَما بَدَأَ، فطوبى للغُرباءِ».

قيلَ: ومَنِ الغُرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

---

(١) هو أبو إسماعيل الهروي، مصنف «منازل السائرين» الذي شرحه ابن قيم الجوزية في «مدارج السالكين» وليس ابن تيمية.

(٢) هود: ١١٦.

قالَ: «الذينَ يُصْلِحونَ إذا فَسَدَ النَّاسُ»[٣].

وقالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عبدُالرحمٰنِ بنُ مَهديٍّ عن زهيرٍ عن عمرو ابن أبي عمرو ـ مولى المطلب بن حَنْطَب ـ عن المطَّلبِ بنِ حنطبٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ:

«طوبى للغُرباءِ».

قالوا: يا رسولَ اللهِ! ومَنِ الغرباءُ؟

قالَ: «الذينَ يَزيدونَ إذا نَقَصَ النَّاسُ».

فإن كان هٰذا الحديث بهٰذا اللفظ محفوظاً، لم ينقلب على الراوي لفظه ـ وهو: «الذينَ يَنْقُصونَ إذا زادَ النَّاسُ» ـ فمعناهُ: الذينَ يزيدونَ خيراً وإيماناً وتُقًى؛ إذا نَقَصَ النَّاسُ من ذٰلك. واللهُ أعلم.

وفي حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحْوَصِ عن عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ قالَ: قالَ رسولُ [اللهِ][٤] ﷺ:

«إنَّ الإسلامَ بدَأَ غريباً، وسيعودُ غَريباً كما بَدَأَ، فطوبى للغُرَباءِ».

قيلَ: ومَنِ الغُرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: «النُّزَّاعُ مِن القبائِلِ».

وفي حديث عبدالله بن عمرو قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ ـ ذاتَ يومٍ ونحنُ عندَهُ:

---

(٣) مضى تخريج روايات حديث الغربة وبيان درجاتها صحة وضعفاً.

(٤) ليست في المطبوع من «المدارج».

«طُوبى للغُرباءِ».

قيل: ومَن الغرباءُ يا رسول الله؟

قالَ: «ناسٌ صالِحونَ قليلٌ في ناسٍ كثيرٍ، مَن يَعصيهِمْ أكْثَرُ ممَّنْ يُطيعُهم».

وقالَ أحمد: حدثنا الهيثمُ بنُ جميلٍ: حدَّثنا محمدُ بنُ مسلمٍ: حدَّثنا عثمانُ بنُ عبداللهِ عن سليمانَ بنِ هرمزٍ عن عبدِاللهِ بنِ عمروعنِ النبيِّ ﷺ قالَ:

«إنَّ أحبَّ شيءٍ إلى اللهِ الغُرباءُ».

قيلَ: ومَنِ الغرباءُ؟

قالَ: «الفرَّارونَ بدينِهِم، يَجْتَمعونَ إلى عيسى بنِ مريمٍ عليهِ السلامُ يومَ القيامَةِ».

وفي حديثٍ آخر:

«بدأَ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بَدَأَ، فطُوبى للغُرباءِ».

قيلَ: ومَنِ الغرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: «الذينَ يُحْيونَ سُنَّتي، ويُعَلِّمونَها النَّاسَ».

وقالَ نافع بن مالك:

دخَلَ عمرُبنُ الخطابِ المسجدَ، فوجَدَ معاذَ بنَ جبلٍ جالساً إلى بيتِ النبيِّ ﷺ وهُو يبْكي.

فقالَ لهُ عُمرُ: ما يُبْكيكَ يا أبا عبدِالرَّحْمٰنِ؟ هَلَكَ أخوكَ؟

قالَ: لا. ولكنْ حديثاً حَدَّثنيهِ حبيبي ﷺ وأنا في هٰذا المسْجِدِ.

فقالَ: ما هُو؟

قالَ: «إنَّ الله يُحِبُّ الأخْفِيـاءَ الأحْفِيـاءَ الأتْقيـاءَ الأبـرياءَ، الذينَ إذا غابـوا؛ لم يُفْتَقَـدوا، وإذا حَضَـروا؛ لـم يُعْـرَفـوا، قلوبُهُم مصابيحُ الهُدى، يخرُجونَ مِن كُلِّ فتنَةٍ عمياءَ مظلمةٍ»[٥].

فهٰـؤلاء هُم الغـربـاءُ الممـدوحونَ المغبوطونَ، ولقلَّتِهم في النَّاسِ جدًّا سُمُّوا: «غُرباءَ»، فإنَّ أكثَرَ النَّاسِ على غيرِ هٰذهِ الصفاتِ.

فأهلُ الإسلامِ في النَّاسِ غُرباءُ.

والمؤمِنونَ في أهْلِ الإسلامِ غُرباءُ.

وأهلُ العِلْمِ في المؤمِنينَ غُرباءُ.

وأهلُ السُّنَّةِ ـ الذينَ يميِّزونَها مِن الأهواءِ والبِدَعِ ـ فيهم غُرباءُ.

والدَّاعونَ إليها، الصَّابِرونَ على أذى المُخالفينَ؛ أشَدُّ هٰؤلاءِ غُربةً.

ولكنَّ هٰؤلاء هُم أهـلُ اللهِ حقـاً، فلا غُربةَ عليهِم، وإنَّما غُربتُهُم بينَ الأكثَـرينَ، الـذينَ قالَ الله عزَّ وجـلَّ فيهم: ﴿وإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَن في الأرضِ

---

(٥) أخرجه الآجري في «صفة الغرباء» (٣٨)، وفي إسناده يحيى بن عبدالله بن أبي قتادة، وهو مجهول.

وروي بألفاظ مقاربة لا تصح؛ كما بينه شيخنا في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٨٥٠).

يُضِلُّوكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ﴾[٦].

فأولٰئكَ هُم الغرباءُ مِنَ اللهِ ورسولِهِ ودينِهِ، وغربَتُهُم هي الغُربةُ الموحِشَةُ، وإنْ كانوا هُم المعروفينَ المشار إليهِمْ كَما قيلَ:

فلَيْسَ غَريباً مَن تَناءَتْ دِيارُهُ
ولٰكِنَّ مَنْ تَنْأَيْنَ عنهُ غَريبُ

ولمَّا خَرَجَ موسى عليهِ السلامُ هارباً مِن قومِ فرعَوْنَ؛ انتهى إلى مدْيَنَ على الحالِ التي ذَكَرَ اللهُ، وهو وحيدٌ، غريبٌ، خائفٌ، جائِعٌ، فقالَ:

يا ربِّ، وحيدٌ مريضٌ غريبٌ.

فقيلَ لهُ: يا موسى، الوحيدُ؛ مَن ليسَ لهُ مِثْلي أنيسٌ، والمريضُ؛ مَن ليسَ لهُ مِثْلي طبيبٌ، والغريبُ؛ مَن ليسَ بيني وبينَهُ مُعاملَةٌ.

فالغربةُ ثلاثةُ أنواعٍ:

غربةُ أهلِ اللهِ وأهْلِ سُنَّةِ رسولِهِ بينَ هٰذا الخلْقُ، وهي الغُربةُ التي مَدَحَ رسولُ اللهِ ﷺ أهْلَها، وأخبرَ عنِ الدِّينِ الذي جاءَ بِهِ أنَّه «بدأَ غَريباً»، وأنَّهُ «سَيعودُ غريباً كما بدأَ»، وأنَّ أهلَهُ يَصيرونَ غُرباءَ.

وهٰذه الغربةُ قد تكونُ في مكانٍ دونَ مكانٍ، ووقتٍ دونَ وقتٍ، وبينَ قومٍ دونَ قومٍ.

---

(٦) الأنعام: ١١٦.

ولكنَّ أهلَ هٰذهِ الغربةِ هُم أهلُ اللهِ حقّاً، فإنَّهُم لم يأْووا إلى غيرِ اللهِ، ولم يَنْتَسِبوا إلى غيرِ رسولِهِ ﷺ، ولم يَدْعوا إلى غيرِ ما جاءَ بهِ، وهم الذينَ فارَقوا الناسَ أحْوجَ ما كانوا إليهِم، فإذا انْطَلَقَ الناسُ يومَ القِيامَةِ معَ آلِهَتِهِم؛ بَقوا في مكانِهم، فيقال لهم:

«ألا تنطلِقونَ حيثُ انْطَلَقَ الناسُ؟! فيقولونَ: فارَقْنا الناسَ ونحنُ أحْوَجُ إليهِمْ منَّا اليومَ، وإنَّا ننتَظِرُ ربَّنا الذي كُنَّا نعبُدُهُ»[٧].

فهٰذهِ الغربةُ لا وحْشَةَ على صاحِبِها، بل هو آنَسُ ما يكونُ إذا اسْتَوْحَشَ الناسُ، وأشدُّ ما تكونُ وَحْشَتُهُ إذا استأنَسوا، فوليُّه اللهُ ورسولُهُ والذينَ آمَنوا، وإنْ عاداهُ أكثرُ النَّاسِ وجَفَوْهُ.

وفي حديثِ القاسمِ عن أبي أُمامة عن النبيِّ ﷺ قالَ عنِ اللهِ تعالى:

«إنَّ أغْبَطَ أوْليائي عندي لَمؤمِنٌ، خفيفُ الحاذِّ، ذو حظٍّ من صلاتِهِ، أحْسَنَ عبادَةَ ربِّه، وكانَ رزْقُهُ كَفافاً، وكانَ معَ ذٰلك غامِضاً في النَّاسِ، لا يُشارُ إليهِ بالأصابعِ، وصَبَرَ على ذٰلك حتَّى لَقِيَ الله، ثمَّ حلَّتْ منيَّتُه، وقلَّ تُراثُهُ، وقَلَّتْ بواكيهِ»[٨].

---

(٧) جزء من حديث أبي سعيد الخدري الطويل، أخرجه البخاري (١٣ / ٤٢٠ - ٤٢٢ - الفتح).

(٨) أخرجه الترمذي (٣ / ٩٦ - تحفة)، وأحمد (٥ / ٢٥٢ - ٢٥٥)، والطيالسي (٢٠٨٢ - منحة المعبود)، وأبونعيم في «الحلية» (١ / ٢٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٢٤٦)، والحاكم (٤ / ١٢٣)، وصححه، وتعقبه الذهبي قائلاً:

«لا بل إلى الضعف هو». =

ومَن هٰؤلاء الغرباء؟ مَن ذكرهم أنس في حديثه عن النبي ﷺ:

«رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ، ذي طِمْرينِ، لا يُؤْبَهُ لهُ، لو أقْسَمَ على اللهِ؛ لأبَرَّهُ»(٩).

وفي حديث أبي إدريس الخَولاني عن معاذِ بنِ جبلٍ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ:

«ألا أُخْبِرُكُم عنْ مُلوكِ أهلِ الجنَّةِ؟».

قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ.

قالَ: «كلُّ ضعيفٍ أغْبَرَ، ذي طمرينِ، لا يُؤبَهُ لهُ، لو أقسمَ على اللهِ؛ لأبرَّهُ»(١٠).

وقالَ الحسنُ: المؤمِنِ في الدنيا كالغريبِ، لا يَجْزَعُ من ذُلِّها، ولا ينافِسُ في عزِّها، للنَّاسِ حالٌ، ولهُ حالٌ، الناسُ منهُ في راحةٍ، وهومِن نفسهِ في تعبٍ».

= قلت: وهو ضعيف جداً، فيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك؛ كما بينته في رسالتي «الشهاب الثاقب».

وأخرجه ابن ماجه (٤١١٧)، وفي إسناده صدقة بن عبدالله، وهو متفق على تضعيفه.

وهٰذان الطريقان لا يقوي بعضهما بعضاً، نظراً لشدة الضعف الموجود فيهما.

(٩) أخرجه الترمذي (٣٨٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية»، وهو صحيح.

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم وغيره.

(١٠) أخرجه الآجري في «صفة الغرباء» (٩)، وبمعناه ابن ماجه (٤١١٥).

وفيه سويد بن عبدالعزيز؛ لين الحديث.

ومن صفاتِ هٰؤلاء الغرباء الذين غَبطَهُم النبيُّ ﷺ:

التمسُّك بالسنَّة إذا رَغِبَ الناسُ عنها، وتركُ ما أحْدَثوهُ، وإنْ كانَ هوَ المعروفَ عندَهُم.

وتجريدُ التوحيدِ، وإنْ أنْكَرَ ذٰلك أكثَرُ النَّاسِ.

وتَـرْكُ الانتسـابِ إلى أحدٍ غيرِ اللهِ ورسوله؛ لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة.

بل هٰؤلاء الغـربـاء منتسبـون إلى الله بالعبودية له وحدَه، وإلى رسولِهِ بالاتِّباعِ لما جاءَ بهِ وحدَهُ.

وهٰؤلاء هُم القابِضونَ على الجمْرِ حقاً.

وأكثرُ النَّاسِ - بل كلُّهم - لائمٌ لهُم.

فلغربتِهم بينَ هٰذا الخلقِ يعُدُّونَهُم أهلَ شذوذٍ وبدعةٍ ومفارقةٍ للسوادِ الأعظمِ.

ومعنى قولِ النبيِّ ﷺ:

«هم النزَّاعُ مِن القبائل»:

أنَّ الله سبحـانَـهُ بعثَ رسولَهُ وأهلُ الأرضِ على أديانٍ مختلفةٍ، فهم بينَ عُبَّـادِ أوثـانٍ ونيـرانٍ، وعبَّـادِ صُوَرٍ وصُلْبانٍ، ويهود، وصابئة، وفلاسفة، وكـانَ الإِسـلامُ في أولِ ظهـورهِ غريبـاً، وكانَ مَن أسْلَمَ منهُم واستجابَ للهِ ولـرسـولِهِ غريباً في حيِّه وقبيلتِهِ، وأهلِهِ وعشيرتِهِ، فكانَ المستجيبونَ لدعوةِ الإِسـلامِ نُزَّاعـاً مِن القبـائِـلِ، بل آحـاداً منهُم، تَغَـرَّبـوا عن قبـائِلِهم

وعشائرِهم، ودَخلوا في الإسلامِ، فكانوا هُم الغرباءَ حقًّا، حتَّى ظهرَ الإسلامُ، وانتشرتْ دعوتُهُ، ودخَلَ النَّاسُ فيهِ أفواجاً، فزالَتْ تلكَ الغربةُ عنهُم، ثمَّ أخذَ في الاغترابِ والتَّرَحُّلِ، حتَّى عادَ غريباً كما بدأَ.

بل الإسلامُ الحقُّ ـ الذي كانَ عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُهُ ـ هو اليومَ أشدُّ غربةً منهُ في أوَّلِ ظهورِهِ، وإنْ كانَتْ أعلامُهُ ورسومُهُ الظاهرةُ مشهورةً معروفةً، فالإسلامُ الحقيقيُّ غريبٌ جدًّا، وأهلُهُ غُرباءُ أشدُّ الغربةِ بينَ الناسِ.

وكيفَ لا تكونُ فرقةٌ واحدةٌ قليلةٌ جدّاً غريبةٌ بين اثنتينِ وسبعينَ فرقةً ذات أتباعٍ ورئاسات، ومناصبَ وولايات، ولا يقومُ لها سوقٌ؛ إلا بمخالفةِ ما جاءَ بهِ الرسولُ؟!

فإنَّ نفس ما جاءَ بهِ يضادُّ أهواءَهُم، ولَذَّاتِهم، وما هُم عليهِ مِن الشُّبُهاتِ والبدعِ التي هي مُنْتَهى فضيلتِهم وعملِهِم، والشَّهَواتِ التي هي غاياتُ مقاصِدِهِم وإراداتِهم.

فكيفَ لا يكونُ المؤمِنُ السائِرُ إلى اللهِ على طريقِ المتابَعَةِ غريباً بينَ هٰؤلاءِ الذينَ قدِ اتَّبعوا أهواءَهُم، وأطاعوا شُحَّهُم، وأُعْجِبَ كُلٌّ منهُم برأيِهِ؟! كما قالَ النبيُّ ﷺ:

«مُروا بالمَعْروفِ، وانْهَوْا عنِ المُنْكَرِ، حتَّى إذا رأيْتُم شُحاً مُطاعاً، وهوىً متَّبعاً، ودُنيا مُؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ، ورأيتَ أمراً لا يدَ لكَ بِهِ؛ فعليكَ بخاصَّةِ نفسِكَ، وإيَّاكَ وعوامَّهُم، فإنَّ وراءَكُم أياماً صبرُ

الصَّابِرِ فيهِنَّ كالقابِضِ على الجمرِ»[11].

ولهٰذا جُعِلَ للمسلمِ الصادقِ في هٰذا الوقتِ - إذا تمسَّكَ بدينِهِ - أجر خمسينَ من الصحابةِ.

ففي «سنن» أبي داود، والترمذي؛ من حديث أبي ثعلبة الخُشَني قالَ:

سألتُ الرسولَ ﷺ عن هٰذهِ الآيةِ: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا عليكُمْ أنْفُسَكُم لاَ يَضُرُّكُمْ مَن ضلَّ إذا اهْتَدَيْتُم﴾[12]، فقالَ:

«بل ائْتَمِروا بالمعروفِ، وتناهَوْا عن المنكَرِ، حتى إذا رأيتَ شُحاً مطاعاً، وهوىً مُتَّبعاً، ودُنيا مؤثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ؛ فعليكَ بخاصَّةِ نفسكَ، ودَعْ عنكَ العوامَّ، فإنَّ من ورائِكُم أيَّامَ الصبرِ، الصبرُ فيهنَّ مثلُ قبضٍ على الجمرِ، للعامِلِ فيهِنَّ أجْرُ خمسينَ رجلاً يعملونَ مثلَ عملِهِ».

قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أجْرَ خمسينَ منهم؟

قالَ: «أجْرَ خمسينَ منكُم»[13].

---

(11) لم أقف عليه موصولاً بهٰذا اللفظ، وإنما أخرجه الآجري في «صفة الغرباء» (ص 28) معلقاً، فلعل ابن القيم نقله في كتاب الآجري.

(12) المائدة: 105.

(13) أخرجه أبو داود (4341)، والترمذي (3058)، وابن ماجه (4014)، وابن جرير في «تفسيره» (7 / 97)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص 71، 76 - 77)، =

وهٰذا الأجرُ العظيمُ إنَّما هُو لغربتِهِ بينَ النَّاسِ ، والتمسُّكِ بالسنَّةِ بينَ ظُلماتِ أهوائِهم وآرائِهم .

فإذا أرادَ المؤمِنُ الذي قدْ رَزَقَهُ الله بصيرةً في دينِه، وفقهاً في سنَّةِ رسولِهِ، وفهماً في كتابِهِ، وأراهُ ما الناسُ فيهِ مِن الأهواءِ، والبدع ، والضَّلالاتِ، وتنكُّبِهم عن الصِّراطِ المستقيمِ الذي كانَ عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابه .

فإذا أرادَ أنْ يَسْلُكَ هٰذا الصِّراطَ ؛ فليُوَطِّنْ نفسَهُ على قَدْحِ الجُهَّالِ وأهلِ البدَعِ فيهِ، وطعنِهم عليهِ، وإزْرائِهم بهِ، وتنفيرِ النَّاسِ عنهُ، وتحذيرِهم منهُ ؛ كما كانَ سلَفُهُم مِن الكفَّارِ يفعلونَ معَ متبوعِهِ وإمامِه ﷺ .

فأمَّا إنْ دَعاهُم إلى ذٰلك، وقَدَحَ فيما هُم عليهِ ؛ فهنالِكَ تقومُ قيامَتُهم، ويبغونَ لهُ الغوائلَ، وينصبونَ لهُ الحبائِلَ، ويجلبونَ عليهِ بخيلِ كبيرِهِم ورَجلِهِ .

فهو غريبٌ في دينِه ؛ لفسادِ أدْيانِهم .

= وابن حبان (١٨٥٠ ـ موارد)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢ / ٦٥)، والحاكم (٤ / ٣٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» (٢ / ٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨).

قلت: إسناده ضعيف، فيه عتبة بن أبي حكيم ؛ صدوق يخطىء كثيراً، وأبو أمية الشَّعْباني ؛ مقبول.

ولكن للفقرة الأخيرة شواهد تجعلها صحيحة ثابتة، بسطتها في جزء مفرد سميته: «القابضون على الجمر».

غريبٌ في تمسُّكِه بالسنَّةِ؛ لتمسُّكِهِمْ بالبدعِ.

غريبٌ في اعتقادِهِ؛ لفسادِ عقائِدِهِم.

غريبٌ في صلاتِهِ؛ لسوءِ صلاتِهِم.

غريبٌ في طريقِهِ؛ لضلالِ وفسادِ طُرُقِهِم.

غريبٌ في نسبتِهِ؛ لمخالفةِ نسَبِهِم.

غريبٌ في معاشرتِهِ لهُم؛ لأنَّه يعاشِرُهُم على ما لا تهوى أنفسُهُم.

وبالجملةِ؛ فهو غريبٌ في أمورِ دنياهُ وآخرتِه، لا يجد مِن العامَّةِ مساعداً ولا مُعيناً، فهو عالمٌ بينَ جُهَّالٍ، صاحبُ سنَّةٍ بينَ أهلِ بِدَعٍ، داعٍ إلى اللهِ ورسولِهِ بينَ دعاةٍ إلى الأهواءِ والبدعِ، آمرٌ بالمعروفِ ناه عنِ المنكرِ بينَ قومٍ المعروفُ لديهِم منكرٌ، والمنكرُ معروفٌ.

فصلٌ: النَّوعُ الثَّاني مِن الغربةِ:

غربةٌ مذمومةٌ، وهي غربةُ أهلِ الباطلِ وأهلِ الفجورِ بينَ أهلِ الحقِّ، فهي غربةٌ بينَ حزْبِ اللهِ المفلحينَ، وإنْ كَثُر أهلُها؛ فهم غُرباءُ على كثرةِ أصحابِهم وأشياعِهِم، أهلُ وحشةٍ على كثرةِ مؤنِسِهِم، يُعرَفونَ في أهلِ الأرضِ، ويَخْفَوْنَ على أهلِ السماءِ.

فصلٌ: النَّوعُ الثالثُ غربةٌ مشتَرَكَةٌ لا تُحمدُ ولا تُذَمُّ:

وهي الغربةُ عنِ الوطنِ، فإنَّ النَّاسَ كلُّهم في هٰذه الدارِ غرباءُ، فإنَّها

ليستْ لهُم بدارِ مقامٍ ، ولا هي الدارُ التي خُلِقوا لها .

وقد قال النبيُّ ﷺ لعبدِالله بنِ عمر رضي الله عنهما :

«كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»[١٤] .

وهٰكذا هو في نفس الأمرِ؛ لأنه أُمِرَ أنْ يطالِعَ ذٰلك بقلبِهِ، ويعرفَهُ حقَّ المعرفةِ، ولي من أبيات في هٰذا المعنى :

وحَـيَّ على جَنَّـاتِ عدْنٍ فإنَّـهـا
منـازِلُـكَ الأولى وفيـهـا المُـخَيَّـمُ

ولٰـكِـنَّـنـا سَبْيُ العَـدُوِّ فهَـلْ ترى
نَعـودُ إلـى أوْطـانِـنـا ونُـسَـلِّمُ؟

وأيُّ اغْـتِـرابٍ فوقَ غُرْبَـتِـنـا التي
لهـا أضْحَـتِ الأعـداءُ فيـنـا تَحَكَّمُ؟

وقَـدْ زَعَـمـوا أنَّ الـغـريـبَ إذا نَأى
وشَطَّـتْ بهِ أوطـانُـهُ ليْسَ يَنْـعَـمُ

فمِـنْ أجْـلِ ذا لا يَنْـعَمُ العبـدُ ساعـةً
مِنَ الـعُـمْـرِ إلا بعـدَ ما يَتَـأَلَّـمُ

وكيفَ لا يكونُ العبدُ في هٰذه الدارُ غريباً، وهو على جناحِ سفرٍ، لا يحل عن راحلتِهِ إلا بينَ أهلِ القبورِ؟ فهو مسافرٌ في صورةِ قاعدٍ .

وقد قيلَ :

---

(١٤) أخرجه البخاري (١١ / ٢٣٣ ـ فتح) .

ومـا هٰذهِ الأيَّـامُ إلا مَراحِـلٌ
يَحُـثُّ بهـا داعٍ إلـى المـوتِ قاصِـدُ
وأعْـجَـبُ شيءٍ لو تأمَّـلْتَ أنَّـهـا
منـازِلُ تُطْـوَى والـمُـسـافِـرُ قاعِـدُ

فصلٌ:

قالَ صاحِبُ «المنازل».

الاغترابُ: أمرٌ يُشارُ بهِ إلا الانفِرادِ عنِ الأكْفاءِ.

يريـدُ أنَّ كُلَّ مَن انفـرَدَ بوصفٍ شريفٍ دونَ أبنـاءِ جنسـهِ؛ فإنَّهُ غريبٌ بينَهُم؛ لعدَمِ مشارِكِهِ، أو لقلَّتِه.

قالَ:

وهو على ثلاثِ درجاتٍ:

الـدرجـةُ الأولى: الغـربـةُ عنِ الأوطانِ، وهٰذا الغريبُ موتُه شهادةٌ، ويُقاسُ لهُ في قبرِهِ مِن مدفنهِ إلى وطنِهِ، ويُجْمَعُ يومَ القيامَةِ إلى عيسى بـن مريمَ عليهِ السلامُ.

لمـا كانت الغـربـةُ هي انفـراد، والانفرادُ إمَّا بالجسمِ، وإمَّا بالقصْدِ والحـالِ، وإما بهما؛ كانَ الغريبُ غريبَ جسمٍ، أو غريبَ قلبٍ وإرادةٍ وحالٍ، أوغريباً بالاعتبارينِ.

قوله: وهٰذا الغريبُ موتُه شهادةٌ.

يشيرُ بهِ إلى الحديث الذي يُروى عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قالَ:

«موتُ الغريبِ شهادةٌ»[15].

ولكنَّ هٰذا الحديث لا يثبتْ، وقد رُوي مِن طرق لا يصحُّ منها شيءٌ.

قال الإمام أحمد:

«هٰذا حديث منكر».

وأما قوله: ويُقاسُ له في قبره من مدفنه إلى وطنه.

فيشير بهِ إلى ما رواه عبدالله بنُ وهبٍ: حدثني حيي بن عبدالله عن أبي عبدِالرحمٰنِ الحبلي عن عبدِالله بنِ عمرو قالَ:

تُوُفِّيَ رجلٌ بالمدينةِ ـ ممَّن ولد بالمدينةِ ـ فصلَّى عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ، وقالَ:

«ليتَهُ ماتَ في غيرِ مولِدِهِ».

فقالَ رجُلٌ: ولم يا رسولَ اللهِ؟

---

(١٥) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢ / ٢٨٨)، وعنه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٤٨٧)، وقال:

«أبو رجاء منكر الحديث، وفي هٰذا رواية من غير هٰذا الوجه، شبيه بهٰذا الضعف».

قلت: وله شواهد لا يثبت منها شيء؛ كما نص على ذلك الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤ / ٨٧)، والحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢ / ١٤١ - ١٤٢)، ومن قبلهما ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢ / ٨٩٠ - ٨٩٢).

فقالَ: «إنَّ الرَّجُلَ إذا ماتَ؛ قيسَ لهُ مِن مولِدِهِ إلى منْقَطَعِ أثرِهِ في الجنَّةِ».

رواه ابن لهيعة عن حيي بهٰذا الإسناد، وقالَ:

وقفَ رسولُ اللهِ ﷺ على قبرِ رجلٍ بالمدينةِ، فقالَ:

«يا لهُ، لو ماتَ غريباً».

فقيلَ: وما للغريبِ يموتُ بغيرِ أرضِهِ؟

فقالَ: «ما مِن غريبٍ يموتُ بغيرِ أرضِهِ؛ إلا قيسَ لهُ مِن تربَتِهِ إلى مولِدِهِ في الجنَّةِ»[١٦].

قوله: ويُجمعُ يومَ القيامةِ إلى عيسى ابنِ مريمَ.

يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدَّثنا القاسمُ بنُ جميل: حدَّثنا محمدُ بنُ مسلم: حدثنا عثمانُ بنُ عبدِاللهِ بنِ إدريسَ عن سليمان بن هرمز عن عبدِاللهِ بنِ عمرو قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«أحبُّ شيءٍ إلى اللهِ الغرباءُ».

قيلَ: وما الغرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

---

(١٦) أخرجه النسائي (١ / ٢٥٩)، وابن ماجه (١٦١٤)، وابن حبان (٧٢٩ - موارد)، وأحمد (٢ / ١٧٧)؛ من طرق عن حيي بن عبدالله المعافري عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمر به.

قلت: وهٰذا إسناد حسن، رجاله ثقات؛ غير حيي بن عبدالله، فهو صدوق في حفظه كلام يسير لا ينزله عن رتبة الحسن إن شاء الله.

قالَ: «الفرَّارونَ بدينِهِم، يجتَمِعونَ إلى عيسى بنِ مريمَ يومَ القيامَةِ»(١٧).

قالَ: **الدرجةُ الثانيةُ: غربةُ الحالِ.**

وهٰذا مِن الغرباءِ الذينَ طُوبى لهُم، وهورجلٌ صالحٌ في زمانٍ فاسدٍ بينَ قومٍ فاسدينَ، أوعالمٌ بينَ قومٍ جاهلينَ، أوصِدِّيقٌ بينَ قومٍ منافقينَ.

يريد بالحالِ ها هُنا الوصفَ الذي قامَ بهِ؛ مِن الدينِ، والتمسُّكِ بالسُّنَّةِ، ولا يريدُ بِهِ الحالَ الاصطلاحيَّ عندَ القومِ، والمرادُ بِهِ العالمُ بالحقِّ، العاملُ بهِ، الدَّاعي إليهِ.

وجعلَ الشيخُ الغرباءَ في هٰذه الدَّرَجَةِ ثلاثةَ أنواعٍ:

صاحبُ صلاحٍ ودينٍ بينَ قومٍ فاسدينَ.

وصاحبُ علمٍ ومعرفةٍ بينَ قومٍ جُهَّالٍ.

وصاحبُ صدقٍ وإخلاصٍ بينَ أهلِ كذبٍ ونفاقٍ.

فإنَّ صفاتِ هٰؤلاء وأحوالَهم تنافي صفاتِ مَن هُم بينَ أظْهُرِهِم، فمَثَلُ هٰؤلاءِ بينَ أولٰئكَ كَمَثَلِ الطيرِ الغريبِ بينَ الطُّيورِ، والكلبِ الغريبِ بينَ الكِلابِ.

والصِّدِّيقُ هو الذي صَدَقَ في قولِهِ وفعلِهِ، وصدَّقَ الحقَّ بقولِهِ وعملِهِ، فقد انْجَذَبَتْ قواهُ كلُّها للانقيادِ للهِ ولرسولِهِ؛ عكسَ المنافقِ الذي

(١٧) مضى تخريجه في روايات حديث الغربة.

ظاهِرُهُ خلافُ باطنِهِ، وقولُهُ خِلافُ عملِهِ.

قالَ: الدرجةُ الثالثةُ: غُربةُ الهمَّةِ.

وهي غربةُ طلَبِ الحقِّ، وهيَ غُربةُ العارفِ؛ لأنَّ العارفَ في شاهِدِهِ غريبٌ، ومصحوبَهُ في شاهِدِهِ غريبٌ، وموجودَهُ لا يحملهُ علمٌ، أويظهرُهُ وَجْدٌ، أويقومُ بِهِ رسْمٌ، أوتطيقهُ إشارةٌ، أويشملهُ اسمُ غريبٍ، فغربةُ العارفِ غُربةُ الغُربةِ؛ لأنَّه غريبُ الدنيا والآخرةِ.

إنما كانت هٰذه الدرجة أعلى مما قبلها:

لأن الغربةَ الأولى غربةٌ بالأبدانِ.

والثانية: غربةٌ بالأفعالِ والأحوالِ.

وهٰذه الثالثةُ غربةٌ بالهمم، فإنَّ همَّةَ العارفِ حائمةٌ حولَ معروفِهِ، فهوغريبٌ في أبناءِ الآخرةِ؛ فضلاً عن أبناءِ الدنيا؛ كما أنَّ طالبَ الآخرةِ غريبٌ في أبناءِ الدُّنيا.

قوله: لأنَّ العارفِ في شاهِدِهِ غريبٌ.

شاهدُ العارفِ: هو الذي يشْهَدُ عندَهُ ولهُ بصحَّةِ ما وجَدَ، وأنَّهُ كما وجَدَ، وبثبوتِ ما عَرَفَ، وأنَّهُ كما عرفَ.

وهٰذا الشاهدُ أمرٌ يجدُهُ في قلبِهِ، وهو قُربُهُ مِن اللهِ، وأُنْسُهُ بِهِ، وشدَّةُ شوقِهِ إلى لقائِهِ، وفرحُهُ بِهِ، فهٰذا شاهِدُهُ في سرِّهِ وقلبِهِ.

وله شاهدٌ في حالِهِ وعملِهِ يُصَدِّقُ الشاهِدَ الذي في قلبِهِ.

ولـه شاهـدٌ في قلوبِ الصَّادِقينَ يُصَدِّقُ هٰذينَ الشاهدينِ ، فإنَّ قلوبَ الصادِقينَ لا تَشْهَدُ بالزُّورِ أَلبتَّةَ .

فإذا خَفِيَ عليكَ شأنُكَ وحالُكَ ؛ فاسأَلْ عنكَ قلوبَ الصادِقينَ ، فإنَّها تُخْبِرُكَ عن حالكَ .

قوله : ومصحوبه في شاهِدِهِ غريب .

مصحوبه في شاهده هو الذي يصحبُهُ فيه مِن العلمِ والعَمَلِ والحالِ .

وهـو غريبٌ بالنسبـةِ إلى غيـرِهِ ممَّنْ لم يَذُقْ طعمَ هٰذا الشأْنِ ، بل هو في وادٍ وأَهْلُهُ في وادٍ .

وقوله : وموجوده لا يحمله علم . . . إلى آخرِهِ .

يريد بموجوده ما يجد في شهودِهِ وجداناً ذاتياً حقيقيًّا في هٰذه المراتب المذكورة ؛ لأنَّ الشُّهودَ يشملها كلها حالةَ المشاهدةِ .

فأمَّا ما يحمله العلم ؛ فهو أحكام العلم التي متى انسلخَ منها ؛ انْسَلَخَ مِن الإِيمانِ .

ومـوجـوده في هٰذه المشاهدة في هٰذا الحال هو إصابته وجه الصواب الـذي أرادَهُ الله ورسـولُـهُ بشـرعهِ وأمرِهِ ، وهٰذه الإصابةُ غريبةٌ جداً عندَ أهلِ العلمِ ، بل هي متـروكـةٌ عنـدَ كثيرٍ منهم ، فليسَ الحـلالُ إلا ما أَحَلَّهُ مَن قَلَّدوهُ ، والحـرامُ ما حَرَّمَـهُ ، والدينُ ما أفْتى بهِ ؛ يقدَّم على النصوص ، وتُترَكُ له أقوالُ الرسولِ والصحابةِ وسائرِ أهل العلم .

قوله: أو يظهِرُهْ وَجْدٌ.

الوَجْدُ يظهر أموراً يُنْكِرها مَن لم يكُنْ له ذلك الوجد، ويعرفها مَن كانَ لهُ.

وهذا الوجدُ إنْ شَهِدَ لهُ العلمُ بالقبولِ، وزكَّاهُ؛ فهو وَجْدٌ صحيحٌ، وإلا؛ فهو وَجْدٌ فاسدٌ، وفيه انحرافٌ.

والمقصودُ أنَّ ما يظهرُهُ وجدُ هذا العارفِ باللهِ، وأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأحكامِهِ؛ غريبٌ على غيرِهِ، بحسبِ همَّتِهِ ومعرفَتِهِ وطلَبِهِ.

قوله: أو يقومُ بِهِ رسمٌ.

الرَّسْمُ هو الصورة الخَلْقيةُ وصفاتُها وأفعالها عندهم.

والذي يقومُ بِهِ هذا الرَّسمُ هو الذي يقيمُهُ مِن تعلق اسم القيُّوم به، فإنَّ القيُّومَ هو القائِمُ بنفسهِ، الذي قِيامُ كُلِّ شيءٍ بهِ، أي: هو المقيمُ لغيرِهِ، فلا قيامَ لغيرِهِ بدونِ إقامتِهِ لهُ، وقيامُهُ هو بنفسهِ لا بغيرِهِ.

ويحتملُ أنْ يُريدَ بِهِ معنى آخر، وهو ما يَقْوى رسمُهُ على القيامِ بِهِ، فإنَّ وراءَ ذلك ما لا يقوى رسمُ العبدِ على إظهارِهِ، ولا القيامِ بِهِ، وهذا أظهَرُ المعْنَيَيْنِ مِن كلامِهِ، وسياقهُ إنَّما يدلُّ عليهِ، ولهذا قالَ بعدَ ذلك: أو تطيقُهُ إشارَةٌ.

أي: لا تقدِرُ على إفهامِهِ وإظهارِهِ إشارةٌ، فتنهضُ الإشارةُ بكَشْفِهِ.

ثم قالَ: أو يشمَلُهُ رسمٌ.

يعني: أو تناله عبارةٌ.

فذكر الشيخُ خمسَ مراتب:

الأولى: مرتبةُ حملِ العلمِ لهُ.

الثانيةُ: مرتبةُ إظهارِ الوَجْدِ لهُ.

الثالثةُ: مرتَبَةُ قيامِ الرسمِ بهِ.

الرابعة: مرتبة إطاقةِ الإشارةِ له.

الخامسة: مرتبة شمولِ العبارةِ له.

ومقصوده أنَّ موجودَ العارفِ أخْفى وأدقُّ مِن موجودِ غيرهِ، فهوغريبٌ بالنسبةِ إلى موجودِ سواهُ.

وأخبرَ أنَّ موجوده في هٰذه المراتِبِ غريبٌ، فكيفَ بموجودِهِ الذي لا يحملُهُ علمٌ، ولا يُظْهِرُهُ وجدٌ، ولا يقومُ بهِ رسمٌ، ولا تُطيقُهُ إشارةٌ، ولا تشملُهُ عبارةٌ؟

فهٰذا أشدُّ غربةً.

قوله: فغربةُ العارفِ غربةُ الغربةِ.

والغربةُ أنْ يكونَ الإنسانُ بينَ أبناءِ جنسهِ غريباً، مع أنَّ له نسباً فيهِم.

وأما غربةُ المعرفةِ؛ فلا يبقى معها نسبة بينه وبين أبناءِ جنسهِ إلا بوجه بعيدٍ؛ لأنَّهُ في شأْنٍ والنَّاسُ في شأْنٍ آخر، فغربتُه غربةُ الغربةِ.

وأيضاً؛ فالصالحونَ غرباء في النَّاسِ، والزَّاهِدونَ غرباءُ في

الصَّالحينَ، والعارِفونَ غُرباءُ في الزَّاهِدينَ.

قوله: لأنَّه غريبُ الدنيا، وغريبُ الآخرةِ.

يعني أن أبناءَ الـدُّنيـا لا يعـرفـونـه؛ لأنـه ليس منهم، وأهـل الآخرةِ ـ العباد الزهاد ـ لا يعرفونَه؛ لأنَّ شأنَهُ وراءَ شأنِهم، همَّتُهم متعلقةٌ بالعبادةِ، وهمتُـه متعلقـةٌ بالمعبـودِ، مع قيـامِـهِ بالعبادةِ، فهويرى النَّاسَ، والنَّاسُ لا يرونَهُ؛ كما قيل:

تَسَـتَّـرْتُ مِن دَهْـري بظِـلِّ جَنـاحِـهِ
فعَـيْـنِـي تَرى دَهْـري ولـيْس يَرانـي

فلَوْ تَسْـأَلُ الأيَّـامَ ما آسْـمِي لَمـا دَرَتْ
وأيْـنَ مَكـانـي ما عَرَفْـنَ مَكـانـي

□□□□□

الفصل الثالث:

كلام الشاطبي في الغربة والغرباء

قال الإمام الشاطبي في «الاعتصام» (ق ٢ ـ ٧)(*):

أما بعد:

فإني أذكِّرك أيها الصَّديقُ الأوفى، والخالِصَةُ الأصفى، في مقدمةٍ ينبغي تقديمُها قبلَ الشُّروعِ في المقصودِ، وهي معنى قول رسول الله ﷺ:

«بدأ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغُرباءِ».

قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟

قال: «الذين يُصْلِحونَ عند فساد الناس»[١].

وفي روايةٍ: قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟

(*) اعتمدت على نسخة مخطوطة أقوم بتحقيق الكتاب عليها؛ لأن المطبوع كثير النقص والتحريف، أسأل الله أن يعينني على إتمامه ونشره.

(١) تقدم تخريج روايات الحديث وبيان درجتها صحة وضعفاً.

قال: «النُّزَّاع من القبائل».

وهٰذا مجمل، ولكنه مبيَّن في الرواية الأخرى.

وجاء من طريق آخر:

«بدأ الإسلام غريباً، ولا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ غريباً؛ كما بدأ، فطوبى للغُرباءِ حينَ يفسُدُ الناسُ».

وفي رواية لابن وهب قال ـ عليه السلام:

«طوبى للغُرباءِ الذينَ يُمْسِكونَ بكتابِ الله حينَ يُتْرَكُ، ويعملون بالسنَّة حين تطفى».

وفي رواية:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

قالوا: يا رسول الله، كيف يكون غريباً؟

قال: «كما يقال للرجل في حي كذا وكذا: إنه لغريب».

وفي رواية: إنه سئل عن الغرباء؛ قال:

«الذينَ يُحْيونَ ما أماتَ الناسُ من سنَّتي».

وجملةُ المعنى فيه من جهةِ وصفِ الغربةِ ما ظهرَ بالعيانِ والمشاهدةِ في أولِ الإسلامِ وآخرِهِ، وذٰلك أن رسول الله ﷺ بعثَهُ الله تعالى على حينِ فترة من الرسل، وفي جاهلية جَهلاء، لا تعرف من الحقِّ رسماً، ولا تُقيمُ به في مقاطعِ الحقوقِ حُكماً، بل كانت تنتَحِلُ ما وجدتْ عليهِ آباءها، وما

استحسنته أسلافُها؛ من الآراءِ المنحرفةِ، والنِّحَلِ المخترعَةِ، والمذاهبِ المُبْتَدَعَةِ، فحينَ قام فيه ﷺ بشيراً ونذيراً، وداعِياً إلى اللهِ بإذنِه وسِراجاً منيراً؛ فسرعانَ ما عارَضوا معروفَهُ بالنُّكْرِ، وغيَّروا في وجهِ صوابِهِ بالإفكِ، ونَسبوا إليهِ ـ إذْ خالَفَهُم في الشِّرْعَةَ، ونابَذَهُم في النِّحْلَةِ ـ كُلَّ محالٍ، ورموهُ بأنواعِ البُهتانِ:

فتارةً يرمونَهُ بالكذبِ، وهو الصادقُ المَصْدوقُ، الذي لم يُجَرِّبوا عليهِ قطُّ خبراً بخِلافِ مخبرِه.

وآونةً يتَّهِمونَهُ بالسِّحرِ، وفي علمهِم أنه لم يكن من أهلِهِ، ولا ممَّن يدَّعيهِ.

وكرَّةً يقولونَ: إنه مجنونٌ، مع تحقيقِهِم بكمالِ عقلِهِ، وبراءَتِهِ مِن مَسِّ الشَّيطانِ وخَبَلِهِ.

وإذْ دَعاهُم إلى عبادَةِ المعبودِ بحقٍّ وحدَه لا شريكَ له؛ قالوا: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلٰهاً واحداً إنَّ هٰذا لشيءٌ عُجابٌ﴾**[2].

مع الإقرار بمقتضى هٰذه الدعوة الصادقة: **﴿فإذا رَكِبوا في الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لهُ الدِّينَ﴾**[3].

وإذا أنذَرَهُم بطشةَ يومِ القيامَةِ؛ أنكَروا ما يُشاهِدونَ مِن الأدلَّةِ على إمكانِه، وقالوا: **﴿أئذا مِتْنا وكُنَّا تُراباً ذٰلكَ رجْعٌ بعيدٌ﴾**[4].

---

(٢) صٓ: ٥.

(٣) العنكبوت: ٦٥.

(٤) قٓ: ٣.

وإذا خوَّفهم نقمة الله ؛ قالوا : ﴿اللهُمَّ إنْ كانَ هٰذا هو الحَقَّ مِن عندِكَ فأمْطِرْ علينا حِجارَةً مِن السَّماءِ أوِ ائْتِنا بعَذابٍ أليمٍ﴾(٥) ؛ اعتراضاً على صحَّةِ ما أخبَرَهُم بِهِ مما هو كائنٌ لا محالةَ .

وإذا جاءَهُم بآيةٍ خارقةٍ ؛ افتَرَقوا في الضَّلالَةِ على فِرقٍ ، واختَرَقوا فيها بمُجَرَّدِ العنادِ ما لا يقبلهُ أهل التَّهَدِّي إلى التَّفْرِقَةِ بين الحقِّ والباطلِ .

كلُّ ذٰلك دعاء منهم إلى التَّأسِّي بهم ، والموافقة لهم على ما ينتحلون ؛ إذ رأوا خِلافَ المُخالِفِ لهم في باطلِهم ردّاً لما هُم عليه ، ونَبْذاً لما شدُّوا عليه يدَ الظِّنَّةِ ، واعتقدوا إذْ لم يتَمَسَّكوا بدليلٍ أنَّ الخلافَ يوهِنُ الثِّقَةَ ، ويُقَبِّحُ جهةَ الاستحسانِ ، وخصوصاً حينَ اجتَهدوا في الانتصارِ بعلمٍ ، فلم يجدوا أكثرَ مِن تقليدِ الآباءِ .

ولذٰلك أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليهِ السلام في مُحاجَّةِ قومِه : ﴿ما تَعْبُدونَ قالوا نَعْبُد أصْناماً فنَظَلُّ لها عاكِفينَ . قالَ هلْ يَسْمعونَكُم إذْ تَدْعونَ أوْ يَنْفَعونَكُم أوْ يَضُرُّونَ . قالوا بل وجَدْنا آباءَنا كذٰلكَ يَفْعَلونَ﴾(٦) ، فحادوا ـ كما ترى ـ عن الجوابِ القاطِعِ المورِدِ مَوْرِدَ السؤالِ إلى الاستمساكِ بتقليدِ الآباءِ .

وقالَ الله تَعالى : ﴿أمْ آتَيْناهُم كِتاباً مِنْ قبْلِهِ فهُم بِهِ مُسْتَمْسِكونَ . بل قالوا إنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ وإنَّا على آثارِهِم مُهْتَدونَ﴾(٧) ، فرجَعوا عن

---

(٥) الأنفال : ٣٢ .

(٦) الشعراء : ٧٠ ـ ٧٤ .

(٧) الزخرف : ٢١ ـ ٢٢ .

جوابِ ما أُلْـزِمـوا إلى التقليـد، فقـال تعالى: ﴿قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدى مِمَّا وَجَـدْتُم عليـهِ آبـاءَكُم﴾[8]، فأجـابوا بمجرد الإنكار؛ ركوناً إلى ما ذَكَروا مِن التقليدِ، لا بجوابِ السؤالِ.

فكذلكَ كانوا معَ النبيِّ ﷺ، فأنْكَروا ما تَوَقَّعوا معهُ زوالَ ما بأيديهِم؛ لأنَّهُ خَرَجَ عنْ مُعتادِهِم، وأَتى بِخِلافِ ما كانوا عليهِ مِن كُفرِهِم وضَلالِهِم، حتى أَرادوا أَن يَسْتَنْـزِلـوهُ على وجْهِ السِّياسةِ في زعمِهِم؛ ليوقِعوا بينَهُم وبينَ المؤالَفَةَ والموافقةَ ولو في بعضِ الأوقاتِ، أَو في بعضِ الأحوالِ، أو على بعضِ الوجوهِ، ويَقْنَعوا منهُ بذلك؛ ليقِفَ لهم بتلكَ الموافقةِ واهِيَ بنائِهم، فأبى عليه الصلاةُ والسلامُ إلا الثُّبوتَ على محضِ الحقِّ، والمحافظةَ على خالِصِ الصَّوابِ، وأنزَلَ الله:

﴿قُلْ يا أَيُّها الكافِرونَ . لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدونَ﴾ . . . إلى آخرِ السورة.

فنَصَبـوا لهُ عنـدَ ذلـك حربَ العَـداوةِ، ورَمَوْهُ بسِهامِ القطيعَةِ، وصارَ أهـلُ السِّلمِ كُلُّهم حربـاً عليـهِ؛ عادَ الوليُّ الحميمُ عليهِ كالعذابِ الأليمِ، فأقــرَبُهُم إليـهِ نسبـاً كانَ أبْعَـدَ النـاسِ عن مُوالاتِـهِ، كأبي جهْـلٍ وغيـره، وألصقُهُم بهِ رَحِماً؛ كانوا أقْسى قلوباً عليهِ، فأيُّ غُربةٍ تُوازي هذه الغربةَ؟!

ومع ذلك، فلمْ يَكِلْهُ الله إلى نفسِهِ، ولا سلَّطَهُم على النَّيْلِ من أَذاهُ؛ إلا نيلَ المصلوفينَ، بل حَفِظَهُ وعَصَمَهُ، وتولاَّهُ بالرِّعايةِ والكَلاءةِ، حتى بلَّغَ رسالةَ ربِّهِ.

---

(٨) الزخرف: ٢٤.

ثمَّ ما زالتِ الشريعةُ في أثناءِ نُزولِها، وعلى توالي تقريرِها، تُبعِدُ بينَ أهلِهـا وبينَ غيـرِهِم، وتضَـعُ الحُدودَ بينَ حقِّها وبينَ ما ابْتَدعوا، لكنْ على وجهٍ مِن الحكمةِ عجيبٌ، وهو التأْليفُ بينَ أحكامِها وبينَ أكابرِهِم في أُصلِ الـدينِ الأوَّلِ الأصيـلِ، ففي العَـرَبِ نسبتُهم إلى أبيهم إبـراهيمَ عليـهِ السـلامُ، وفي غيـرِهِم لأنبيائِهِم المبعوثينَ فيهِم؛ كقولِهِ تعالى بعدَ ذِكْرِ كثيرٍ من الأنبياءِ:

﴿أُولٰئكَ الذينَ هَدَى الله فبِهُداهُمُ اقْتَدِه﴾[9].

وقوله:

﴿شَرَعَ لكُم مِن الدِّينِ ما وَصَّى بهِ نوحاً والَّذي أَوْحَيْنا إليكَ وما وَصَّيْنا بهِ إبْـراهيمَ وإسمـاعيـلَ ومـوسى وعيسى أَنْ أقيموا الدِّينَ ولا تَتَفرَّقوا فيهِ كَبُرَ على المُشْرِكينَ﴾[10].

ومـا زالَ عليـهِ السلامُ يدعولها، فيؤوبُ إليهِ الواحدُ بعدَ الواحدِ على حُكمِ الاختفاءِ؛ خوفاً مِن عادِيَةِ الكُفَّارِ زمانَ ظُهورِهِم على دعوةِ الإسلامِ، فلمَّا اطَّلَعوا على المُخالَفَةِ أَنِفوا، وقاموا، وقَعَدوا.

فمِن أهْـلِ الإسـلامِ مَن لجَـأَ إلى قبيلِهِ، فحَمَـوْهُ على إغماضٍ، أو على دفعِ العارِ في الإخفارِ.

ومنهُم مَن فَرَّ مِن الإذايةِ، وخوفَ الغِرَّةِ؛ هجرةً إلى اللهِ، وحُباً في

---

(9) الأنعام: ٩٠.

(10) الشورى: ١٣.

الإسلامِ .

ومنهُم مَن لم يكُنْ لهُ وِزْرٌ يحميـهِ ، ولا ملجأ يَرْكَنُ إليـهِ ، فلقيَ منهُم مِن الشِّدَّةِ والغِلظةِ والعذابِ والقتلِ ما هومعلومٌ ؛ حتى زَلَّ منهم مَن زلَّ ، فرَجَعَ أمرُهُ بسببِ الرجوعِ إلى الموافَقَةِ ، وبقِيَ منهُم مَن بقيَ صابِراً محتَسِباً ، إلى أن أنزلَ الله تعالى الرُّخصَةَ في النُّطْقِ بكلمَةِ الكُفْرِعلى حكمِ الموافقةِ ظاهِراً ؛ ليَحْصَلَ بينَهُم وبينَ الناطقِ الموافَقَةُ ، وتزولَ المخالفَةُ ، فنَزَلَ إليها مَن نَزَلَ على حكمِ التَّقِيَّةِ ؛ ريثما يتنفَّسُ من كَربهِ ، ويترَوَّحُ من خِناقِهِ ، وقلبُهُ مطمئنٌّ بالإيمانِ .

وهٰذه غربةٌ أيضاً ظاهرةٌ ، وإنما كانَ هٰذا جهلاً منهُم بمواقعِ الحكمةِ ، وأنَّ ما جاءَهُم بهِ نبيُّهم ﷺ هو الحقُّ ضدُّ ما هُم عليهِ ، فمَن جهلَ شيئاً ؛ عاداهُ ، فلو عَلِموا لَحَصَلَ الوِفاقُ ، ولم يُسْمَع الخلافُ ، ولكنَّ سابقَ القدرِ حتَّم على الخلقِ ما هم عليهِ ، قال الله تعالى :

﴿ولا يَزالونَ مُخْتَلِفينَ إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾(11) .

ثم استمرَّ مزيدُ الإسلامِ ، واستقامَ طريقُهُ على مدَّةِ حياةِ النبيِّ ﷺ ، ومِن بعدِ موتِهِ ، وأكثرِ قرنِ الصحابةِ ـ رضي الله عنهم ـ إلى أنْ نَبَغَتْ فيهِم نوابِغُ الخُروجِ عن السُّنَّةِ ، وأَصغَوْا إلى البِدَعِ المضلَّةِ ؛ كبدعةِ القَدَرِ ، وبدعةِ الخوارجِ ، وهي التي نبَّه عليه الحديثُ بقوله :

«يَقْتُلونَ أهلَ الإسلامِ ، ويَدَعونَ أهْلَ الأوثانِ ، يقرؤونَ القرآنَ لا

---

(11) هود : 117 ـ 118 .

يُجاوِزُ تَراقِيَهُم»[١٢].

يعني: لا يتفقَّهونَ فيه، بل يأخُذونَهُ على الظاهِرِ كما بيَّنه حديث ابن عمر الآتي بحول الله.

وهٰذا كلُّه في عهدِ الصحابةِ.

ثم لم تزل الفرقُ تكثُرُ حسبما وَعَدَ بهِ الصادِقُ ﷺ في قوله:

«افترقتِ اليهودُ على إحْدى وسبعينَ فرقةً، والنصارى مثل ذٰلك، وتفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً»[١٣].

وفي الحديث الآخر:

«لتَتَّبِعُنَّ سنن مَن كانَ قبلكُم شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دَخلوا جُحْرَ ضبٍّ لاتَّبَعْتُموهُم».

قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟!

قال: «فمن؟»[١٤].

---

(١٢) أخرجه البخاري (١٣ / ٤١٦ ـ الفتح)، ومسلم (٧ / ١٦٩ ـ ١٧٤ ـ نووي).

(١٣) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٢٣٩١)، وغيرهم؛ من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.

قلت: وهٰذا إسناد حسن.

وقد فصلت القول في هٰذا الحديث وشواهده في رسالتي «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة» (٩ ـ ٢٧).

(١٤) أخرجه البخاري (٦ / ٤٩٥، ١٣ / ٣٠٠ ـ فتح)، ومسلم (١٦ / ٢١٩ ـ نووي)، وأحمد (٣ / ٨٤، ٨٩، ٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٤ ـ ٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٣٩٢)، وابن نصر «السنة» (ص ١٢) من طرق عن زيد بن أسلم =

وهٰذا أعمُّ من الأول، فإن الأول عند كثير من أهل العلم الخاصُّ بأهلِ الأهواءِ، وهٰذا الثاني عامٌّ في المخالفات، ويدل على ذٰلك من الحديث قوله:

«حتى لو دَخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لاتَّبَعْتُموهُم».

وكلُّ صاحبِ مخالفةٍ؛ فمِن شأْنِهِ أن يدعو غيرَه إليها، ويحُضَّ سواهُ عليها، إذ التأسِّي في الأفعالِ والمذاهبِ موضوعٌ طلبُهُ في الجِبلَّةِ، وبسببِهِ تقعُ مِن المخالِفِ المُخالَفَةُ، وتحصَلُ مِن الموافِقِ الموافقَةُ، ومنهُ تنشأُ العداوةُ والبغضاءُ للمختلفينَ.

وكانَ الإسلامُ في أولِه وَجِدَتِهِ مقاوِماً، بل ظاهراً، وأهلُه غالِبونَ، وسوادُهُم أعظمُ الأسوِدَةِ، فخلا مِن وصفِ الغربةِ بكثرةِ الأهلِ والأولياءِ الناصرينَ، فلم يكن لغيرِهم - ممَّن لم يسلُك سبيلَهم أو سلَكَهُ، ولكنه ابتدَعَ فيهِ - صولةٌ يعظُمُ موقعُها، ولا قوةٌ يضعُفُ دونَها حزبُ الله المفلِحونَ، فصارَ على استقامةٍ، وجَرى على اجتماعٍ واتساقٍ، فالشاذُّ مقهورٌ مضطَهَدٌ، إلى أنْ أخذَ اجتماعُه في الافتراقِ الموعودِ، وقوَّتُه إلى الضعفِ المنتَظَرِ، والشاذُّ عنهُ تقوى صولَتُهُ، ويكثُرُ سوادُه، واقتضى سرُّ التأسِّي المطالبَةَ بالموافقةِ، ولا شكَّ أنَّ الغالبَ أغلبُ، فتكالَبَت على سوادِ السنَّةِ البدعُ والأهواءُ، فتفرَّقَ أكثرُهُم شِيَعاً.

= عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ: وذكره.

قلتُ: وله شواهد عن جماعة من الصحابة: أبي هريرة، وابن عباس، وأبي واقد الليثي، وعبدالله بن عمرو، وغيرهم. وقد استوفيت الكلام عليها في «تخريج أحاديث الوصية الصغرى» (ص ٣٢ - ٣٦).

وهٰـذه سنَّـةُ اللهِ في الخلقِ؛ أنَّ أهـلَ الحقِّ في جنب أهـلِ البـاطلِ قليلٌ؛ لقولِهِ تعالى:

﴿وما أَكْثَرُ النَّاسِ ولو حَرَصْتَ بمؤمِنينَ﴾[١٥].

وقوله تعالى:

﴿وقليلٌ مِن عبادي الشَّكورُ﴾[١٦].

ولينجزَ اللهُ ما وعدَ بهِ نبيَّه ﷺ من عودِ وصفِ الغربَةِ إليهِ، فإنَّ الغربةَ لا تكـونُ إلا معَ فقـدِ الأهـلِ أو قلَّتِهم، وذٰلـك حينَ يصيرُ المعروفُ منكراً، والمنكـرُ معـروفاً، وتصيرُ السنَّةُ بدعةً، والبدعةُ سنَّةً، فيُقامُ على أهلِ السُّنَّةِ بالتثـريبِ والتعنيفِ؛ كمـا كان أولاً يُقـامُ على أهـلِ البـدعـةِ، طَمَعـاً مِن المبتـدِعِ أنْ تجتَمِـعَ كلمَـةُ الضُّـلَّالِ، ويـأبى اللهُ أن تجتَمِـعَ حتى تقـومَ السـاعـةُ، فلا تجتَمِـعُ الفِـرَقُ كلُّها ـ على كثرَتِها ـ على مخالفةِ أهلِ السنَّةِ عادةً وسمعاً، بل لا بدَّ أن تَثْبُتَ جماعةُ أهلِ السنَّةِ حتى يأتِيَ أمرُ اللهِ، غير أنَّهُم لكثـرةِ ما تُنـاوِشُهُم الفـرقُ الضـالَّـةُ، وتنـاصبهُم العـداوةَ والبغضـاءَ؛ استـدعـاءً إلى مُوافقتِهِم، لا يزالـونَ في جهادٍ ونزاعٍ، ومدافَعَةٍ وقِراعٍ؛ آناءَ الليلِ والنَّهارِ، وبذٰلك يضاعِفُ اللهُ لهُم الأجْرَ الجزيلَ، ويُثيبُهُم الثوابَ العظيمَ.

فقد تلخَّصَ مما تقدَّم أنَّ مطالبَةَ المخالِف بالموافقةِ جارٍ مع الأزمانِ،

---

(١٥) يوسف: ١٠٣.

(١٦) سبأ: ١٣.

لا يختصُّ بزمانٍ دونَ زمانٍ، فمَن وافقَ؛ فهو عند المطالبِ المصيبُ على أيِّ حالٍ كانَ، ومَن خالَفَ؛ فهُو المخطىءُ المصابُ، ومَن وافقَ فهو المحمودُ السعيدُ، ومَن خالَفَ فهو المذمومُ المطرودُ، ومَن وافقَ فقد سلكَ سبيلَ الهدايةِ، ومن خالَفَ فقد تاهَ في طرقِ الضَّلالَةِ والغِوايةِ.

وإنَّما قدَّمتُ هٰذه المقدمةَ لمعنى أذكُرُهُ، وذٰلك أنِّي ـ ولله الحمد ـ لم أزلْ منذُ فُتِقَ للفهمِ عقلي، ووجَّهَ شطرَ العلمِ طلبي، أنظُرُ في عقلياتِهِ وشرعياتِهِ، وأصولِه وفروعِهِ، لم أقتَصِرْ منهُ على علمٍ دونَ علمٍ؛ ولا أفردتُ عن أنواعِهِ نوعاً دون آخر، حسبما اقتضاهُ الزمانُ والإِمكانُ، وأعطتْهُ المِنَّةُ المخلوقةُ في أصلِ فطرتي، بل خُضْتُ في لُجَجِهِ خوضَ المحسِنِ للسباحَةِ، وأقدَمْتُ في ميادينِهِ إقدامَ الجريءِ، حتى كدتُ أتلَفُ في بعضِ أعماقِهِ، أو أنقطِعُ مِن رفقَتي، التي بالأنسِ بها تجاسَرْتُ على ما قدِّرَ لي، غائباً عن مقالِ القائلِ وعذلِ العاذلِ، ومعرضاً عن صدِّ الصادِّ ولوم اللائمِ؛ إلى أن منَّ عليَّ الربُّ الكريمُ، الرؤوفُ الرحيمُ، فشرحَ لي من معاني الشريعةِ ما لم يكنْ في حسابي، وألقى في نفسي القاصرةَ أنَّ كتابَ اللهِ وسنَّةَ نبيِّهِ لم يتركا في سبيلِ الهدايةِ لقائلٍ ما يقولُ، ولا أبْقَيا لغيرهما مجالاً يُعتدُّ بهِ فيه، وأنَّ الدينَ قد كَمُلَ، والسعادةَ الكبرى فيما وضعَ، والطلبَةَ فيما شرعَ، وما سوى ذٰلك فضلالٌ وبهتانٌ، وإفكٌ وخُسرانٌ، وأنَّ العاقدَ عليهما بكِلتا يديهِ مستمسكٌ بالعروةِ الوُثقى، محَصِّلٌ لكلمتي الخيرِ دُنيا وأُخرى، وما سواهما فأحلامٌ وخيالاتٌ وأوهامٌ، وقامَ لي على صحةِ ذٰلك البرهانُ الذي لا شبهةَ تطرُقُ حولَ حماهُ، ولا تَرْتَمي نحوَ مرماهُ ﴿ذٰلكَ مِن

فضل ِ الله علينا وعلى النَّاس ِ ولكِنَّ أكثَرَ النَّاس ِ لا يَشْكُرونَ﴾[١٧]، والحمدُ لله والشكرُ كثيراً ؛ كما هو أهلُه .

فمن هنالك قوت نفسي على المشي في طريقِه بمقدارِ ما يسَّرَ الله فيه ، فابتدأْتُ بأُصولِ الدينِ عملاً واعتقاداً ، ثم بفروعِهِ المبنيَّةِ على تلك الأصولِ ، وفي خلالِ ذٰلك أتبيَّنُ ما هُو من السُّنَنِ أو مِن البدعِ ، كما أتبيَّنُ ما هو مِن الجائِزِ وما هو مِن الممتَنِعِ ، وأعرضُ ذٰلك على علمِ الأصولِ الدينيَّةِ والفقهيَّةِ ، ثم أطلبُ نفسي بالمشيِ مَعَ الجماعةِ التي سمَّاها رسول الله ﷺ بالسوادِ الأعظمِ[١٨] في الوصفِ الذي كانَ عليهِ هو وأصحابُهُ ، وتركِ البِدَعِ التي نصَّ عليها العلماءُ أنها بدعٌ وأعمالٌ مختَلَقةٌ .

وكنتُ في أثناءِ ذٰلك قد دخلتُ في بعضِ خُطَطِ الجمهورِ مِن الخَطابةِ والإمامةِ ونحوها ؛ فلمَّا أردتُ الاستقامَةَ على الطريقِ ؛ وجدتُ نفسي غريباً في جمهورِ أهلِ الوقتِ ؛ لكونِ خُطَطِهم قد غَلَبتْ عليها العوائدُ ، ودخَلَتْ على سُنَنِها الأصليَّةِ شوائبُ مِن المُحْدَثاتِ الزوائدِ .

ولم يكُنْ ذٰلك بِدعاً في الأزمنةِ المتقدمةِ ، فيكف في زمانِنا هٰذا؟!
فقد رُوِيَ عن السلفِ الصالحِ مِن التنبيهِ على ذٰلك كثيرٌ.

كما رُوي عن أبي الدرداءِ أنه قال :

---

(١٧) يوسف : ٣٨ .

(١٨) ورد في حديث أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - وإسناده حسن ؛ كما بينته في «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة» (ص ٢٠ - ٢١) .

«لـو خرجَ رسـول الله ﷺ عليكُم ما عَرَفَ شيئـاً ممـا كان عليـهِ هو وأصحابُه إلا الصلاةَ».

قال الأوزاعي: «فكيف لو كانَ اليومَ؟!».

قال عيسى بن يونس: «فكيفَ لو أدركَ الأوزاعيُّ هذا الزمانَ؟؟».

وعن أمِّ الـدرداء قالت: دخـلَ أبـو الـدَّرداءِ وهُـو غضبانُ، فقلتُ: ما أغضَبَكَ؟ فقال:

«واللهِ ما أعرِفُ فيهِم شيئاً من أمرِ محمدٍ؛ إلا أنهم يصلُّونَ جميعاً».

وعن أنس بن مالك قال:

«ما أعرفُ منكُم ما كنتُ أعهَدُهُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ غيرَ قولِكُم: لا إله إلا الله».

قلنا: بلى يا أبا حمزة؟

قال: «قـد صلَّيْتُم حتى تغـربَ الشمسُ، أفكانتْ تلكَ صلاةُ رسولِ اللهِ ﷺ؟!».

وعن أنس قال:

«لـو أنَّ رجـلًا أدركَ الـسلفَ الأوَّل، ثم بُعِثَ اليـومَ؛ ما عرفَ من الإسلامِ شيئاً».

قال: ووضع يده على خده، ثم قال:

«إلا هذه الصلاة».

ثم قال: «أما واللهِ على ذٰلك، لمَن عاشَ في هٰذه النكر، ولم يدركْ ذٰلك السلفَ الصالحَ، فرأى مُبتدعاً يدعو إلى بدعتِهِ، ورأى صاحبَ دُنيا يدعو إلى دُنياه، فعَصَمَهُ الله من ذٰلك، وجَعَلَ قلبُهُ يحنُّ إلى ذٰلك السلفِ الصالحِ، يسألُ عن سُبُلِهم، ويقتصُّ آثارَهُم، ويتَّبعُ سبيلَهُم؛ ليعوضُ أجراً عظيماً، وكذٰلك فكونوا إن شاءَ الله».

وعن ميمون بن مهران قال:

«لو أنَّ رجلاً أُنْشر فيكم من السَّلَفِ، ما عرفَ غيرَ هٰذه القبلَةَ».

وعن سهل بن مالك عن أبيه قال:

«ما أعرفُ شيئاً مما أدركْتُ عليهِ الناسَ إلا النداءَ بالصلاةِ».

إلى ما أشبهَ هٰذا من الآثارِ الدَّالَّةِ على أن المحدَثاتِ تدخُلُ في المشروعاتِ، وأنَّ ذٰلك قد كانَ قبلَ زمانِنا، وإنَّما تتكاثَرُ على توالي الدُّهورِ إلى الآن.

فتردَّد النظرُ بين أن اتَّبعَ السنَّةَ على شرطِ مخالفةِ ما اعتادَ الناسُ، فلا بدَّ من حصولِ نحوٍ مما حصلَ لمخالفي العوائدِ، لا سيما إذا ادَّعى أهلُها أنَّ ما هم عليهِ هو السنةُ لا سواها؛ إلا أن في ذٰلك العبءَ الثقيلَ ما فيهِ من الأجرِ الجزيلِ، وبينَ أن أتَّبعَهم على شرطِ مخالفةِ السنَّةِ والسلفِ الصالحِ، فأدخلَ تحتَ ترجمةِ الضلالِ؛ عائذاً باللهِ من ذٰلك؛ إلا أنِّي أوافق المعتادَ، وأعدُّ من المؤالفينَ، لا من المخالفينَ.

فرأيتُ أنَّ الهلاكَ في اتباعِ السنَّةِ هو النجاةُ، وأنَّ الناس لنْ يغنوا عنِّي

من الله شيئاً، فأخذتُ في ذلك على حكمِ التدريجِ في بعضِ الأمورِ، فقامتْ عليَّ القيامةُ، وتواترتْ عليَّ الملامَةُ، وفوَّقَ إليَّ العتابُ سهامَه، ونُسِبْتُ إلى البدعةِ والضلالةِ، وأُنْزِلْتُ منزلةَ أهلِ الغباوةِ والجهالَةِ.

وإني لو التمستُ لتلك المحدَثاتِ مخرجاً؛ لوجدتُ، غير أن ضيقَ العطنِ، والبعدَ عن أهلِ الفطنِ، رقى بي مرتقى صعباً، وضيَّقَ عليَّ مجالاً رحباً، وهو كلامٌ يشير بظاهرهِ إلى أنَّ اتِّباع المتشابهاتِ لموافقاتِ العاداتِ، أولى مِن اتِّباعِ الواضحاتِ، وإن خالفت السلفَ الأولَ.

وربما ألمُّوا في تقبيحِ ما وجهتُ إليهِ وجهَتي بما تشمئزُّ منهُ القلوبُ، أو خَرجوا بالنسبةِ إلى بعضِ الفرقِ الخارجةِ عن السنَّةِ شهادةً ستُكْتَبُ ويسألونَ عنها يومَ القيامَةِ.

فتارةً نُسِبْتُ إلى القولِ بأنَّ الدعاءَ لا ينفعُ، ولا فائدة فيها؛ كما يعزي إليَّ بعضُ الناس؛ بسبب أني لم ألتزمِ الدُّعاء بهيئةِ الاجتماع في أدبارِ الصلاةِ حالةَ الإمامةِ، وسيأتي ما في ذلك من المخالفةِ للسنَّةِ، وللسَّلف الصالحِ، والعلماء.

وتارةً نُسبتُ إلى الرَّفضِ وبغض الصحابةِ ـ رضي الله عنهم ـ بسببِ أنِّي لم ألتزمْ ذكرَ الخلفاءِ الراشدينَ منهُم في الخطبةِ على الخُصوصِ، إذ لم يكنْ ذلك من شأنِ السلفِ في خُطبِهِم، ولا ذَكَرهْ أحدٌ مِن العلماءِ المعتبرينَ في أجزاءِ الخُطَبِ.

وقد سُئِلَ أصبغُ عن دعاءِ الخطيبِ للخلفاءِ المتقدِّمينَ فقال:

«هو بدعةٌ، ولا ينبغي العملُ بهِ، وأحسنُهُ أنْ يدعو للمسلمينَ عامَّةً».

قيل له: فدعاؤه للغُزاةِ والمرابطينَ؟

قال: «ما أرى بهِ بأساً عند الحاجةِ إليه، وأما أن يكون شيئاً يُصْمَدُ له في خطبتِه دائماً؛ فإني أكرهُ ذلك.

ونصَّ أيضاً عزُّ الدين بن عبدالسلام على أنَّ الدعاءَ للخلفاءِ في الخطبةِ بدعةٌ غير محبوبةٍ.

وتارةً أُضيفَ إليَّ القولُ بجوازِ القيامِ على الأئمةِ، وما أضافوهُ إلا من عَدَمِ ذكرِهم في الخُطبةِ، وذكرُهم فيها محدَثٌ لم يكن عليهِ مَن تقدَّمَ.

وتارةً حُمِلَ عليَّ التزامُ الحرجِ والتَّنطُّعِ في الدين، وإنما حملهم على ذلك أني التزمتُ في التكليفِ والفُتيا الحمل على مشهورِ المذهبِ الملتَزَمِ [19] لا أتعدَّاه، وهم يتعدَّوْنَه ويُفتونَ بما يسهِّل على السائل ويوافِقُ هواه، وإنْ كانَ شاذاً في المذهبِ الملتَزَمِ أو في غيرِهِ، وأئمةُ أهلِ العلمِ على خلافِ ذلك، وللمسألةِ بسطٌ في كتاب «الموافقات»[20].

وتارةً نسبتُ إلى معاداةِ أولياءِ اللهِ، وسببُ ذلك أني عاديتُ بعضَ الفقراءِ المبتدِعينَ المخالفينَ للسنَّةِ، المنتَصِبينَ ـ بزعمِهم ـ لهدايةِ

---

(١٩) المذهبية المتعصبة بدعة، وانظر في ذلك:

«بدعة التعصب المذهبي»: محمد عيد عباسي، المكتبة الإسلامية، ط٢، و«هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة؟»: المعصومي، تحقيق: سليم الهلالي، ط١.

(٢٠) هو كتاب للشاطبي في الأصول، وهو مطبوع متداول.

الخلقِ، وتكلَّمتُ للجمهورِ على جملةٍ من أحوالِ هٰؤلاءِ الذينَ نَسبوا أنْفُسَهُم إلى الصوفيَّةِ ولم يتشَبَّهوا بهم.

وتارةً نسبتُ إلى مخالفةِ السنَّةِ والجماعةِ، بناءً منهُم على أن الجماعة التي أُمِرَ باتِّباعها ـ وهي الناجية ـ ما عليهِ العُمومُ، ولم يعلَموا أنَّ الجماعَةَ ما كانَ عليهِ النبيُّ ﷺ وأصحابُهُ والتابِعونَ لهُم بإحسانٍ، وسيأْتي بيانُ ذٰلك بحولِ اللهِ[21].

وكَذبوا عليَّ في جميعِ ذٰلك، أو وَهِموا، والحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ.

فكنتُ على حالةٍ تشبهُ حالةَ الإمامِ الشهيرِ عبدالرحمن بن بطة الحافظ مع أهلِ زمانِه، إذ حكى عن نفسهِ فقال:

«عجبتُ من حالي في سفَري وحَضَري مع الأقربينَ مني والأبعدينَ، والعارِفينَ والمُنْكِرينَ، فإني وجدتُ بمكةَ وخراسانَ وغيرِهما من الأماكن أكثرَ مَن لقيتُ بها موافقاً أو مخالفاً، دعاني إلى متابعتِهِ على ما يقولُه، وتصديقِ قولِهِ، والشهادةِ له:

فإنْ كنتُ صدقتُه فيما يقولُ، وأجزتُ له ذٰلك ـ كما يفعله أهل هٰذا الزمان ـ سمَّاني موافقاً.

وإن وقفتُ في حرفٍ من قولِهِ، وفي شيء من فعله؛ سمَّاني مخالفاً.

وإن ذكرتُ في واحدٍ منها أنَّ الكتابَ والسنَّةِ بخلافِ ذٰلك وارد؛

---

(٢١) وقد فصلت رواياته وفقهها في رسالتي: «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب»، وهي قيد الطبع.

سمَّاني خارجيًّا.

وإنْ قُرِئَ عليَّ حديثٌ في التوحيدِ؛ سمَّاني مشبهاً.

وإن كان في الرؤيةِ؛ سمَّاني سالمياً.

وإن كان في الإيمانِ؛ سماني مرجئياً.

وإن كان في الأعمالِ؛ سمَّاني قدرياً.

وإن كان في المعرفة؛ سمَّاني كرامياً.

وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر؛ سماني ناصبياً.

وإن كان في فضائل أهل البيتِ؛ سماني رافضياً.

وإن سكتُّ عن تفسير آيةٍ أو حديثٍ، فلم أجب فيهما إلا بهما؛ سماني ظاهرياً.

وإن أجبتُ بغيرِهما؛ سماني باطنياً.

وإن أجبتُ بتأويلٍ؛ سماني أشعرياً.

وإنْ جَحَدْتُهما؛ سماني معتزلياً.

وإن كان في السُّنن مثل القراءةِ؛ سماني شفعوياً.

وإن كان في القنوتِ؛ سماني حنفياً[٢٢].

وإن كان في القرآن؛ سماني حنبلياً.

وإنْ ذكرتُ رجحانَ ما ذهبَ كلُّ واحدٍ منهُم إليهِ من الأخبارِ - إذ ليسَ في الحكمِ والحديثِ محاباةٌ - قالوا: طعن في تزكِيَتِهم.

---

(٢٢) يريد القنوت في الوتر؛ لأن الحنفية هم الذين يلتزمونه؛ لأنه عندهم واجب، أما قنوت الفجر - وهو بدعة - فإن الشافعية هم الذين يلتزمونه.

ثم أعجَبُ من ذٰلك أنهم يسمونني فيما يقرؤون عليَّ من أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ ما يشتهون من هٰذه الأسامي ؛ ومهما وافقتُ بعضَهم ؛ عاداني غيرُه ، وإنْ داهَنْتُ جماعَتَهُم ؛ أسخطتُ الله تبارك وتعالى ، ولن يغنوا عنِّي من اللهِ شيئاً ، وإني مستمسكٌ بالكتابِ والسنَّةِ وأستغفرُ الله الذي لا إلٰه إلا هو وهو الغفور الرحيم» .

هٰذا تمامُ الحكايةِ ، فكأنَّهُ رحمه الله تكلَّمَ على لسانِ الجميعِ ، فقلَّما تجدُ عالِماً مشهوراً ، أو فاضِلاً مذكوراً ؛ إلا وقدْ نُبِذَ بهٰذه الأمورِ أو بعضِها ؛ لأن الهوى قد يداخِلُ المخالِفَ ، بل سبَبُ الخروجِ عن السنَّةِ الجهلُ بها ، والهوى المتَّبعُ الغالبُ على أهلِ الخلافِ ، فإذا كانَ كذٰلك ؛ حُمِلَ على صاحب السنَّةِ أنَّه غيرُ صاحِبِها ، ورُجِعَ بالتَّشْنيعِ عليهِ ، والتقبيحِ لقولِهِ وفعلهِ ، حتى يُنْسَبَ هٰذه المناسِبُ .

وقد نُقِلَ عن سيِّد العبَّاد ـ بعد الصحابة ـ أُويس القرني أنه قال :

«إن الأمرَ بالمعروفِ ، والنَّهيَ عنِ المنكرِ ؛ لم يدَعا للمؤمِنِ صديقاً ، نأمُرُهُم بالمعروفِ فيشتمون أعراضَنا ، ويجدون على ذٰلك أعواناً من الفاسقينَ ، حتى ـ والله ـ لقد رَمَوْني بالعظائِمِ ، وايمُ اللهِ لا أدعُ أن أقومَ فيهِم بحقِّه» .

فمِن هٰذا الباب يرجِعُ الإِسلامُ غريباً كما بدأ ؛ لأن المؤالفَ فيه على وصفهِ الأولِ قليلٌ ، فصارَ المخالِفُ هو الكثيرَ ، فاندَرَست رسومُ السنَّةِ حتى مدَّتِ البدعُ أعناقَها ، فأشكَلَ مَرماها على الجُمهورِ ، فظهَرَ مصداقُ الحديثِ الصحيحِ .



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

□□□□□

فهرس أطراف الأحاديث

□□□□□

فهرس الآثار

□□□□□



فهرس الرواة المترجم لهم

□□□□□

ثبت المراجع والمصادر

- «الإحكام في أصول الأحكام»: ابن حزم، دار الآفاق.
- «أحوال الرجال»: الجوزجاني، مؤسسة الرسالة.
- «إحياء علوم الدين»: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة.
- «الإصابة في تمييز الصحابة»: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة.
- «الاعتصام»: الشاطبي، دار الفكر.
- «اقتضاء الصراط المستقيم»: ابن تيمية.
- «الإلماع»: القاضي عياض.
- «الإيمان»: ابن أبي شيبة، دار الأرقم، الكويت.
- «الإيمان»: ابن منده، المجلس العلمي، الجامعة الإسلامية.
- «البدع والنهي عنها»: ابن وضاح، دار البصائر.
- «تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي، المكتبة العلمية.
- «تاريخ دمشق»: ابن عساكر، مخطوط.
- «التاريخ الكبير»: البخاري، دار الفكر.
- «تخريج الأربعين السلمية»: السخاوي، دار عمار.
- «تدريب الراوي»: السيوطي، دار الكتب العلمية.
- «الترغيب والترهيب»: المنذري، دار الكتب العلمية.

- «تعجيل المنفعة»: ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي.
- «تفسير القرآن العظيم»: ابن كثير، دار المعرفة.
- «تقريب التهذيب»: ابن حجر، دار المعرفة.
- «تهذيب التهذيب»: ابن حجر، طبع الهند.
- «تهذيب الكمال»: المِزِّي، مؤسسة الرسالة.
- «الثقات»: العجلي، دار الكتب العلمية.
- «جامع بيان العلم وفضله»: ابن عبدالبر القرطبي، دار الكتب العلمية.
- «جامع البيان في تفسير القرآن»: الطبري، دار المعرفة.
- «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»: البغدادي.
- «الجرح والتعديل»: ابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية.
- «حلية الأولياء»: أبو نُعيم الأصبهاني، دار الفكر.
- «حلاوة الإيمان»: المحقق، مكتبة ابن الجوزي.
- «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب»: المؤلف، تحت الطبع.
- «الدر المنثور في التفسير المأثور»: النسيوطي، دار الفكر.
- «دلائل النبوة»: البيهقي، دار الكتب العلمية.
- «ذكر تاريخ أصبهان»: أبو نعيم الأصبهاني، طبع ليدن.
- «الزهد»: ابن المبارك، دار الكتب العلمية.
- «الزهد الكبير»: البيهقي.
- «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: الألباني، المكتب الإسلامي.
- «السنن»: ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي.
- «السنن»: أبو داود، دار الفكر.
- «السنن»: الترمذي، دار إحياء التراث العربي.
- «السنن»: الدارمي، دار الفكر.
- «السنن»: النسائي، دار الكتاب العربي.

- «السنة»: ابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي.
- «السنة»: ابن نصر، طبع باكستان.
- «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: اللالكائي، دار طيبة.
- «شرح السنة»: البغوي، المكتب الإسلامي.
- «شرح صحيح مسلم»: دار إحياء التراث العربي.
- «شرف أصحاب الحديث»: الخطيب البغدادي، طبع تركيا.
- «صفة الغرباء»: الآجري، طبع الكويت.
- «الضعفاء الكبير»: العقيلي، دار الكتب العلمية.
- «طبقات الشافعية»: السبكي، دار المعرفة.
- «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: الصابوني، الدار السلفية.
- «العلل الكبير»: الترمذي، مكتبة الأقصى.
- «العلل المتناهية»: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية.
- «فتح الباري»: ابن حجر، دار الفكر.
- «فيض القدير»: المناوي، دار المعرفة.
- «الكامل في الضعفاء»: ابن عدي، دار الفكر.
- «كشف الأستار»: الهيثمي، مؤسسة الرسالة.
- «الكنى والأسماء»: الدولابي، طبع الهند.
- «اللآلىء المنثورة بأوصاف الطائفة المنصورة»: المؤلف، تحت الطبع.
- «المجروحين»: ابن حبان، دار المعرفة.
- «مجمع الزوائد»: الهيثمي، دار الكتاب العربي.
- «مجموع الفتاوى»: ابن تيمية، طبع السعودية.
- «مدارج الساكين»: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي.
- «المستدرك»: الحاكم، طبع الهند.
- «المسند»: أبو عوانة، دار المعرفة.

- «المسند»: أبو يعلى، دار المأمون للتراث.
- «المسند»: أحمد بن حنبل، دار الفكر.
- «مسند الشهاب»: القضاعي، مؤسسة الرسالة.
- «مشكل الآثار»: الطحاوي، طبع الهند.
- «المصنف»: ابن أبي شيبة، طبع الهند.
- «المعجم الصغير»: الطبراني، دار الكتب العلمية.
- «المعجم الكبير»: الطبراني، طبع العراق.
- «معرفة التأريخ»: الفسوي، مؤسسة الرسالة.
- «المقاصد الحسنة»: السخاوي، دار الكتاب العربي.
- «منحة المعبود»: أحمد البنا، المكتبة الإسلامية.
- «موارد الظمآن»: الهيثمي، دار الكتب العلمية.
- «ميزان الاعتدال»: الذهبي، دار المعرفة.
- «نحو خلافة راشدة على منهاج النبوة»: المؤلف، مخطوط.
- «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق هذه الأمة»: المؤلف، دار الأضحى.
- «نظم المتناثر»: الكتاني، دار الكتب العلمية.
- «الوصية الصغرى»: ابن تيمية، تحقيق المؤلف، الطبعة الأولى.



فهرس المواضيع والفوائد

الصفحة الموضوع

□□□□□

صدر للمؤلف

١ ـ «البدعة وأثرها السَّيِّىء في الأمة»، طبعة جديدة منقحة ومزيدة.

٢ ـ «الغربة والغرباء».

٣ ـ «مجمع البحرين في تخريج أحاديث الوحيين».

سيصدر قريباً

١ ـ «صحيح الأذكار النووية».

٢ ـ «ضعيف الأذكار النووية».

٣ ـ «مطلع البدرين فيمن يؤتى أجره مرتين».

٤ ـ «النميمة؛ ذمها، وأثرها السَّيِّىء في الأمَّة».

